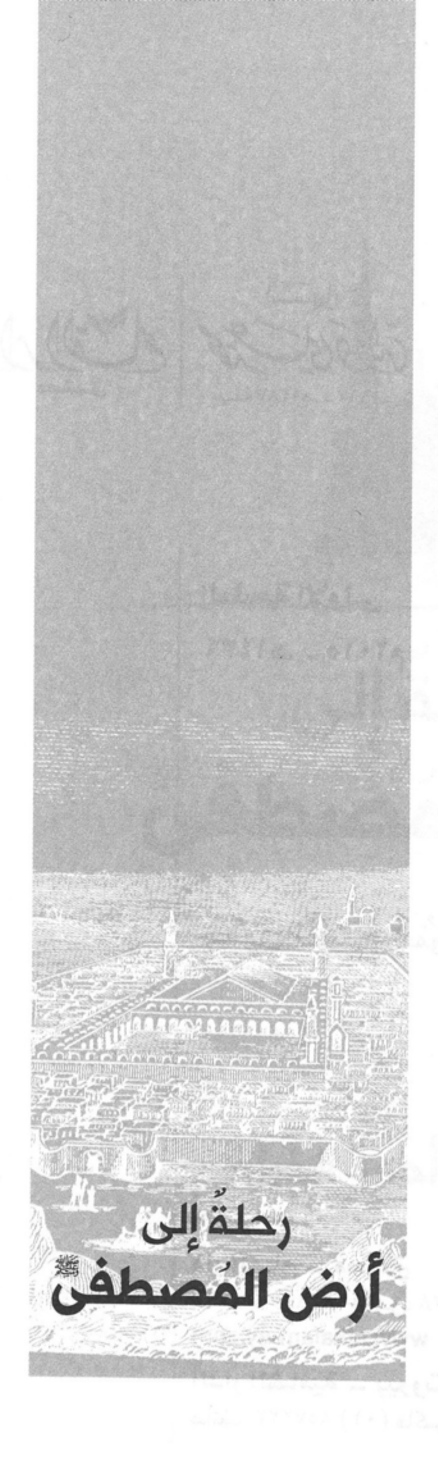

رحلةٌ إلى
أرض المُصطفى ﷺ



الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

حُقوق الطّبع محفُوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



رحلةٌ إلى أرض المُصطفى ﷺ

د. حذيفة أحمد الخراط







مقدِّمة

اخترتُ لقصَّتي هـذه أن تخاطبَ أبناءَنا الصِّغار، فتنقل لهم جوانبَ مضيئةً تخصُّ بعضَ **معالمِ المدينة المنوَّرة**، وتُقَرِّب إلى أذهانهم صُوَراً من ماضيها الجليل، وما مرَّ به من أحداثٍ عِظَام، تَرَكَتْ بصماتِها الواضحات في تاريخنا الإسلاميِّ المجيد.

تلك المدينةُ الَّتي لها في قلوب المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربها مكانةٌ خاصَّةٌ، جعلتْ منها وجهةً أثيرةً، تتوقُ لزيارتها النفوسُ المؤمنةُ، وتهوي إليها أفئدةُ المُحِبِّين.

كيف لا؟ وهي البقعةُ الَّتي اختارتْها الأقدارُ، فجعلتْ منها مهاجرَ الرَّسول الكريم، ومهبطَ الوحي الأمين.

كيف لا؟ وأرض هـذه المدينة كانت نواةَ الدولة الإسلامية الجديدة، الَّتي غَدَتْ تحت قيادة الرَّسول محمد ﷺ، منهلاً لأسس الحضارة الإسلامية، ومنبعاً لثقافتها الدِّينية.

ومِن أرجاء هذه المدينة شَعَّتْ أنوارُ الرِّسالة، فوصل ضياؤها بعد حينٍ، إلى أنحاء المعمورة، وأرجاء العوالم المختلفة، الَّتي طالما انتظرتْ، وطالما تَشَوَّقَتْ لدعوة السَّماء وتعليماتِها الخالدة.



إذن، فَلْنُرَبِّ أبناءنا على حُبِّ المدينـــةِ، ولنغرس في أذهانهم صورَ تاريخها الوضَّاء، ولنذكِّرهم دوماً بما شـــهدتْه عرصاتُها من أحـــداثٍ عاصرها الرَّســـول الكريم وأصحابه، فـــي بنائهم لذاك المجتمع الجديد، ولنعرِّفهم بمعالمها التي شهدتْ جوانبَ كثيرةً من الأمل تارة، ومن الألم تارة أخرى.

حذيفة

المدينة المنورة

رمضان ١٤٣٢هـ





يوم تَسَلُّم الشَّهادات

استيقظ أصدقاؤنا عامر وعماد وعمّار مبكِّرين، كعادتهم في كلِّ يوم، وبعد أن تناولوا طعام الإفطار، سارعوا، فحيَّوا والدهم ووالدتهم، ثم توجَّهوا نحو مدرستهم بهمَّةٍ ونشاط.

إنَّه يوم تسلُّم الشهادات، فقد انتهى العامُ الدراسيُّ، وهاهم طلبة مدرسة النَّجاح الابتدائية بمدينة جدة، يتوافدون[١] إليها مُسرعين، وكلُّهم أمل ورجاء في الحصول على نتائج مشرِّفة، يتباهون بها أمام أسَرِهم وأقرانهم[٢].

وكان أصدقاؤنا الثلاثة من أوائل الَّذين وصلوا إلى مكتب وكيل المدرسة، الأستاذ سعيد، الَّذي سيقوم كعادته في كلّ سنة، بإعلان النتائج وتسليم الشَّهادات إلى أبنائه الطلّاب.

عُرف عن أصدقائنا الثَّلاثة نجاحُهم في كلِّ عام، وتفوُّقهم العلميُّ، وحصولهم على درجات عالية، تجعلُ أسماءَهم تظهرُ دائماً في لوحة الشَّرف في نهاية العام الدراسيِّ، كما اشتهروا

(١) **يتوافدون**: يأتون.

(٢) **أقرانِهم**: أصدقائهم وزملائهم.



بِحُســنِ الخلــقِ والأدبِ في معاملــة أســاتذتهم وزملائهم في المدرســة، ونالوا بذلك ثقــةَ مَن حولهم، من طلَّاب المدرســة ومدرِّسيها.

- ما شــاء الله، هاهــم الإخــوةُ المتفوِّقــون قادمون لاســتلام شهاداتهم.

رحَّب وكيلُ المدرســة بعامر وعماد وعمَّار، وهنَّأهم بالنَّجاحِ والتفوُّق، وهو يناولهم شهاداتِهم.

- مبارك، يا رجالَ الغــدِ، هنيئاً لنا بكــم، ووفَّقكم الله، وهاأنتم ـ كما عوَّدتمونا دائماً ـ تنالون الدَّرجات الأولى.

قال عامر أكبر الإخوة الثلاثة:

- شُكراً لك يا أستاذَنا الفاضل، ونرجو أن نكونَ دائماً عند حُسن ظنِّك أنت وجميع أسرة المدرسة من الأساتذة والطلَّاب.
- إلى الأمام، وإلى المزيد من الخير والتَّوفيق بإذن الله.

ومدَّ الأستاذ سعيد يدَه مصافحاً أصدقاءنا الثَّلاثة بحرارة، وأخذ يشــدُّ علــى أيديهم بقــوة، وتجمَّــع زمــلاءُ الصَّفِّ والمدرســة حول الطــلَّاب النُّجَبــاء[1]، وهــم يباركون لهم نجاحَهم وتفوُّقهم.

---

(١) **النجباء**: جمع نجيب، وهو الذكي المتفوِّق.

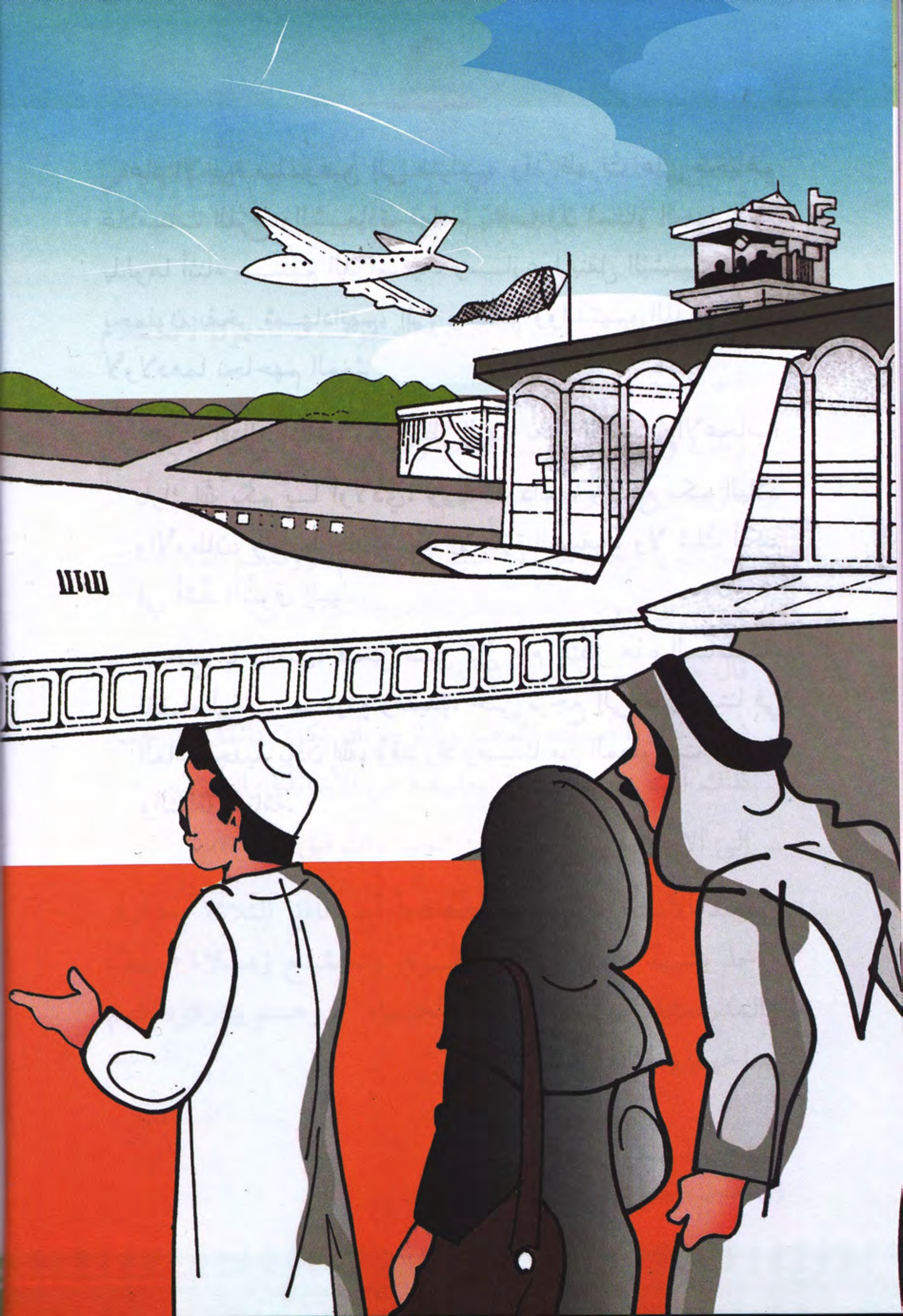


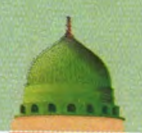
عاد الإخوة مســرعين إلى منزلهم، وقد ظهرتْ على مُحَيَّاهم علامــات الفرح والسَّــعادة، فهاهم يَحصدون ثمــارَ الجهد الَّتي بذلوها أثناء ســنتهم الدِّراســيَّة، وســارعوا بنقل البُشــرى وهم يحملون بفخرٍ شــهاداتِهم، إلى والدهم ووالدتهم، اللَّذَين باركا لأولادهما نجاحهم المميَّز.

خاطبَ الوالد أبناءَه، وهو ينظرُ إليهم بعين التَّقدير والإعجاب:

- بارك الله بكم يــا أولادي، ووفَّقكم دائماً، ونفــع بكم البلاد والأوطان، وأخيراً حان موعد الإجازة الصيفية، ولا شكَّ أنكم في أشدِّ الشَّوق إليها.
- صحيح يا والدي، فنحن فــي كلِّ عام ننتظرُ هذه المناســبة، لقضاء أوقاتٍ ســعيدةٍ ومفيدةٍ، حتَّى نرجع إلى مدرســتنا في العام الجديد بإذن الله، وقد زاد رصيدُنا من المعلومات المفيدة والثقافة العامَّة.

***







رحلة بالطّائرة

كان الإخوةُ الثّلاثةُ، قد خطّطوا لقضاء جزء من الإجازة الصّيفية، لزيارة جدِّهم الّذي يسكن في المدينة المنوّرة، وكان في نِيَّتهم التعرُّف عن قرب على هذه المدينة المُباركة، فهم يَعلمون عظمة تاريخها، وما تضمُّه من آثار ومعالم هامَّة، تنطق بما مرَّ عليها من أحداثٍ، عاصرها رسولُ الله ﷺ وأصحابُه الكرام.

أحبَّ الوالد أن يكافئ أبناءه المتفوّقين، على نجاحهم وحصولهم على تلك النتائج المميَّزة، فقام بإجراء حجزٍ لهم على الطّائرة التي ستتّجه من مطار جُدَّة إلى المدينة المنوَّرة صباح اليوم التّالي، وقامتْ والدتُهم بتجهيز حقائب السَّفر، وما سيحتاج إليه الأولاد خلالَ رحلتهم القادمة.

قال عامر أكبرُ الإخوةِ الثّلاثة، والذي انتقل إلى الصَّفِّ السّادس الابتدائي:

- والآن يا إخوتي علينا أن نخلدَ إلى النّوم باكراً، فلدينا في الأيام القادمة برنامج حافل ومليء بالعمل.

وفي صباح اليوم الأول من الرِّحلة، استيقظ الإخوةُ باكراً لأداء صلاة الفجر مع جماعة المسـجد، وبعد عودتهـم إلى المنزل، قامت والدتُهم بإعداد وجبةِ الإفطار، وسرعان ما كان الإخوةُ قد تناولوا طعامَهم، وساعدوا والدَهم في نقل الحقائب إلى سيارته الَّتي ستقلُّهم[١] إلى مطار مدينة جُدَّة.

وصل عامر وعماد وعمَّار، إلى مطار جُدَّة الدَّولي، وقد ظهرتْ عليهم علامات السَّعادة والنَّشاط، وسـرعان ما انتهتْ إجراءات المطار وتحميل الحقائب، وتوجَّهوا نحو صالة المُغادرة.

وودَّع أصدقاؤنـا والدَهم ووالدتَهم، وفي هذه الأثناء سـمعوا نداء أحد مُوَظَّفي المطار:

- نودُّ أن نوجِّه عنايتكم، إلى اقتراب موعد إقلاع الرحلة المتَّجهة نحو مطار الأمير محمد بن عبدالعزيز بالمدينة المنوَّرة، وعلى السَّادة المُسافرين سُرعة التوجُّه إلى البوَّابة الثامنة.

سـارع الإخوةُ بالاتجاه نحو البوَّابة المذكورة، ووقف والدُهم يرقبهم وهم يسيرون بحماسةٍ ونشـاطٍ، وقد بدأتْ رحلتُهم على بركة الله.

وعلى متن الطَّائرة، اسـتقلَّ كلٌّ من الأولاد مقعدَه المخصَّص له، وقامـوا بربط حزامِ الأمان، وبعدها بقليل سـمعوا محرِّكات

---

(١) **ستقلّهم**: ستنقلهم وستأخذهم.



الطَّائــرة، وصوتَها الَّذي أخــذ يعلو على نَحْوٍ واضح، وشــعروا بعجلات الطَّائرة وهي تدور بسرعة، إلى أن عَلتْ في الجوّ شيئاً فشيئاً، حتَّى استقرَّتْ أخيراً في سماء مدينة جُدَّة.

بعد قليل، أخذ أصدقاؤنا يردِّدون دعاء السَّــفر: **(الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ســبحانَ الَّذي ســخَّر لنا هذا وما كُنَّا له مقْرِنين، وإنَّا إلى ربِّنــا لمنقلبون. اللَّهمَّ إنَّا نســألُك في ســفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل مــا تَرضى. اللَّهمَّ هوِّنْ علينا ســفرَنا هذا، واطْوِ عنَّا بُعده. اللَّهــمَّ أنت الصَّاحبُ في السَّــفر، والخليفةُ في الأهلِ. اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك من وعثاءِ السَّفر، وكآبةِ المَنظر، وسوءِ المنقلب في المالِ والأهلِ والولدِ)**[١].

قال عامر:

- إنَّه دعاءُ السَّفر المأثورُ الَّذي علَّمنا إيَّاه الرَّسولُ ﷺ.

كانت هذه هــي المــرَّة الأولى الَّتي يُســافر فيهــا أصدقاؤنا بالطَّائرة، ولذلك فقد بدتْ عليهم السَّعادةُ والاهتمامُ بمتابعة سير الأمور، وأُعجبوا كثيراً بمناظر جُدَّة من الجَوِّ.

قال عماد:

- انظــروا إلى هناك؛ هــذه هي مدينتنــا جُدَّة، تظهــر تحتنا مباشــرة، ما أجمل منظرها من الجوِّ! انظــر يا عامر، كيف

---

(١) رواه مسلم.



تبدو الأشياء من الأعلى، إنَّ العمارات السَّكنيَّة تصغر شيئاً فشيئاً، سبحان الله.

بعد قليل، استمتع الأطفالُ بتناولِ بعض العَصَائر الطَّازجة الَّتي قدَّمها لهم مضيفُ الطَّائرة، وأخذوا ينظرون باهتمامٍ واضحٍ عبر نافذة الطَّائرة، لمتابعة ما يَظهر من تحتهم من المَعَالم.

قال عمَّار:

- هانحن قد غادرنا جُدَّة، وهاهي الصَّحراء بجبالها ورمالها، أخذتْ تظهر بوضوح.



أكَّد عامر صحَّة معلومة أخيه:

- هذا صحيح، فالصَّحراء تغطِّي معظم المسافة بين جُدَّة والمدينة المنوَّرة، وما نراه الآن عبر النَّافذة جزءٌ صغيرٌ من الصَّحراءِ، التي تمثِّل معظم مساحات أراضي الجزيرة العربية.

- ألا تتَّفقون معي يا إخوتي، في أن تطوُّرَ وسائل النَّقل نعمةٌ عظيمةٌ من نعم الله علينا؟.

- لا شكَّ في ذلك يا عماد، فقد ساهم هذا التقدُّمُ العلميُّ الكبيرُ في اختصار الأوقاتِ والمسافاتِ، ولك أن تتخيَّلَ أجدادَنا، وهم يَقطعون المسافةَ بين جُدَّة والمدينةِ المنورةِ مثلاً، في عدة أيام على ظهور الجِمَال، أو حتَّى مَشْياً على الأقدام.

- ونحن الآن نقطعُ المسافةَ نفسها في أقلَّ من ساعةٍ.

- صحيح، ولا تنسَ أنَّهم كانوا يسيرون تحت أشعَّة الشَّمس اللَّاهبة، وقد يتوه بعضُهم في هذه الصَّحراء الكبيرة، وقد ينفَدُ ما معهم من الطَّعام والشَّراب، ويتعرَّض للهلاك، بينما نحن الآن ولله الحمد، نسافر بطائرة حديثة مكيَّفة الهواء، ومزوَّدة بكلِّ ما يحتاجه المُسافر. حقّاً إنَّ الفرق بين الصُّورتين أكبر بكثير من أن يتخيَّله أحد، فالحمدُ لله على هذه النِّعمةِ العظيمةِ.

وأخذ الإخوة يتناقشــون في موضوعات شــتّى[١]، تدورُ حول الوجهات الَّتي ســيزورونها في المدينة المنــوَّرة بدءاً من صباح الغد، إلى أن انتبهوا على صوت مُضيف الطَّائرة:

- نحن الآن على مقربة من مطــار المدينة المنوَّرة، الرجاء ربط الأحزمة، استعداداً للهُبوط.

ســارع الإخوةُ بمتابعة معالــم المدينة المنــوَّرة التي أخذتْ تلوح[٢] لهم في الأفق شيئاً فشــيئاً، عندما بدأتِ الطَّائرة بالهبوط التدريجيِّ نحــوَ أرضِ المطارِ، وأخذوا يســتمتعون برؤية مناظر المدينة، وبساتينها، ونظامها العمرانيِّ الحديث.

صاح عمادُ فجأة:

- انظروا، هذا هو الحَرَمُ!.

قال عامر:

- صحيح، هذا هو الحرم النبويُّ الشَّريفُ، وهذه مآذنه المرتفعةُ تظهرُ الآن، وهي تمتدُّ بثباتٍ وشــموخٍ نحو السَّماءِ، ما أجملَه من منظرٍ، أعتقــد أنَّ الحرمَ ســيكون أُولــى المحطَّاتِ التي سنزورها في الغد إن شاء الله.

---

(١) شتى: مختلفة.

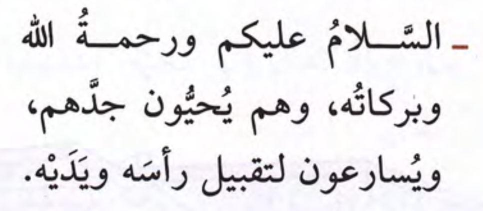
(٢) تلوح: تبدو وتظهر.



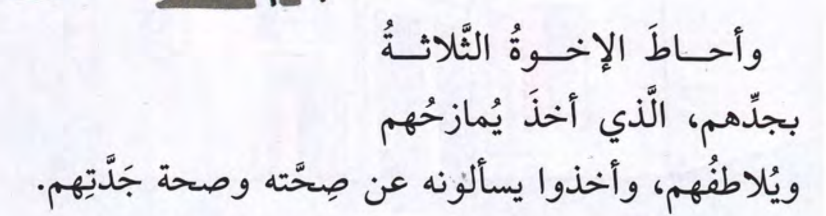
وما هي إلا دقائقُ قليلةٌ، حتَّى توقَّفَتِ الطَّائرةُ تماماً على أرض مطار المدينةِ المنـوَّرةِ، وعندما فُتحتِ الأبـوابُ، وقفَ الإخوةُ منتظمين بانتظار دورِهم للخروجِ مـن الطَّائرة، وبعد قليل كانوا قد وصلوا إلى صالـةِ الوصولِ، فسـارعوا وتسـلَّموا حقائبهم، واتَّجهوا نحو بابِ الخُروج من المطارِ.

كان الجَدُّ في انتظار أحفادِه الثَّلاثة في شـوقٍ كبيرٍ، فقد مضتْ مدةٌ طويلةٌ على زيارتِهم الأخيرةِ للمدينةِ المنوَّرةِ، وذلك لانشغالهم في المدرسةِ، والتحضيرِ لامتحاناتِ نهاية العامِ الدراسيِّ.

هتفَ الإخوةُ مجتمعين:



- السَّـلامُ عليكم ورحمـةُ الله وبركاتُه، وهم يُحيُّون جدَّهم، ويُسارعون لتقبيل رأسَه ويَدَيْه.
- وعليكُمُ السَّـلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه، أهلاً وسـهلاً، ما شاءَ الله، ما شاءَ الله.



وأحـاطَ الإخـوةُ الثَّلاثـةُ بجدِّهم، الَّذي أخذَ يُمازحُهم ويُلاطفُهم، وأخذوا يسألونه عن صِحَّته وصحة جَدَّتِهم.

سأل عمَّار بشغف وتشوُّق:

- وما مخطَّطُنا لقضاء الأيام القادمة في ربوع المدينة يا جدِّي؟.



قال الجَدُّ وهو يضحكُ:

- مهلاً مهلاً، سـيكون كلُّ شـيء على ما يُرام، سوفَ نبدأ من الغدِ، وسيكون برنامجاً حافلاً بإذن الله.

واستقلَّ الإخوة سيَّارة الجدِّ، وأخذوا يحدِّثونَه عن سير رحلتهم من مطار جدَّة، وعمَّا شاهدوه في الطَّائرة، وأخذ الجَدُّ يستمع إليهم ويحاورُهم باهتمامٍ، وهو يرمُقُهم(١) بنظراتٍ من الإعجابِ والتقديرِ.

* * *

(١) يرمقهم: ينظر إليهم.



في منزل الجَدِّ

وصلتِ السَّيارةُ التي تقلُّ(١) أصدقاءَنا الثَّلاثةَ، إلى منزل الجَدِّ، وسارع الإخوةُ إلى مساعدة جَدِّهم في نقل الحقائبِ نحو المنزلِ.

وفي مجلسِ المنزلِ الكبيرِ، كانت الجَدَّةُ في استقبالِ أحفادِها.

- ما شاء الله، أهلاً وسهلاً بأحبَّائي رجال الغد.

سارع الأطفال إلى تحيّة جدَّتهم، الَّتي يحملون لها في قلوبهم كلَّ تقديرٍ واحترام.

- لقد مضتْ فترةٌ طويلةٌ بعد آخر زيارة لكم إلى المدينةِ المنوَّرةِ.

قال عامر:

- هذا صحيح يا جَدَّتي، فأنت تَعْلمين انشغالَنا الدَّائمَ بالمدرسةِ، وهذا يعني أنَّنا لا نستطيعُ السَّفرَ إلَّا في الإجازةِ الصَّيفيةِ.

---

(١) **تقلُّ**: تحمل وتنقل.

- وفَّقكم الله يا أبنائي، لقد كلَّمنــي والدُكم قبلَ قليلٍ، وأخبرني عــن نجاحِكم المُشَــرِّف. بــارك الله بكم ونفــع بكم، والآن يا أحِبَّابي، ارتاحوا قليلاً ريثما أعدُّ لكم طعام الغداء.

- نعم يا جَدَّتي، بسرعةٍ أرجوك، فأنا جائع جدّاً، وأنا مشتاقٌ إلى تناولِ وجباتِ طعامك اللَّذيذة.

ضحك الجميع على كلامِ عمَّار الَّذي أحسَّ بالخجلِ من هذا الموقفِ المُحرجِ، الذي وقع فيه دون قصدٍ.

- حاضر، على الرَّحْب والسَّعة، وأهلاً وسهلاً بكم جميعاً.



وتحلَّق الأطفالُ حول جدِّهم، الذي بدأ يُحَدِّثهم عن البرنامج الذي سيقضونه أثناء زيارتهم للمدينة المنوَّرة:

- لقد قمـتُ بإعداد جدول يتضمَّـنُ زيارةَ أهمِّ معالـم المدينةِ وآثارهـا التاريخيـة، لنتعرّف معـاً على تراث هـذه المدينة المتميِّزِ، الَّذي يجبُ على كلِّ مسلمٍ كبيرٍ أو صغيرٍ أن يعلَمَه، ويفخرَ به أمامَ الآخرين.



- نعم يا جــدِّي، فللمدينة المنــوَّرة في نفوس المُســلمين في مشــارقِ الأرض ومغاربها مكانةٌ عظيمةٌ، فهــي المكانُ الَّذي اختاره رســولُ الله ﷺ ليكون دارَه الثَّانية ومســتقرَّه بعد مكة، عندما أخرجَه منها كفارُ قُريش.
- أحســنتَ يا عامر، هذا صحيحٌ، ففي تلك الأثناء كانَ الرَّسولُ عليه الصلاة والسلام بحاجةٍ إلى مكانٍ يأوي إليه، وينشط فيه للقيامِ بأمور الدَّعوة وتبليغ الرِّســالة، وقد فتح أهلُ المدينــة قلوبَهم ومدينتهم أمام الرَّســول الكريم، وهم يرحِّبون بِمَقْدَمِه الكريم لمَّا أتاهم مُهاجراً من مكة.

ثم سأل الجَدُّ:

- ومن منكم يعرف اســم المدينة المنوَّرة قبــل أن يُهاجر إليها الرَّسول عليه الصلاة والسلام ؟.
- كان اســمُها يثرب يا جدِّي، أمَّا بعد الهجرةِ فقــد أَطْلَقَ عليها رسولُ الله ﷺ اسم: **طَيْبة**.
- أحســنتَ يا عمَّار، واســمُ طيبة هذا يا أحبابي، يدلُّ على فَضْل المدينــة، وهو كما تُلاحظون مأخوذٌ من الطِّيــب؛ وهو الرَّائحةُ الحسنةُ، ويدلُّ كذلك على طِيبِ العيشِ في هذه البلدةِ المباركةِ. والآن مَن يُخبرُنا عن أسماءِ المدينةِ الأخرى الَّتي عُرفتْ بها؟.

أجابَ عامر:

- من أســمائها أيضاً: **طابة، ودارُ الإيمان، وقُبَّة الإســلام، وبيتُ الرَّسول ﷺ**.



- بارك الله فيك يا بُني، وأزيدكم على ذلك أنَّ للمدينة كما قال العلماء، الكثير من الأسماء الأخرى، ومن ذلك: **دارُ السَّلامة، والحبيبةُ، وأرضُ الهجرة، ودارُ الفتح، ومأرزُ الإيمان، والمباركةُ، ودارُ الأبرار**، وغير ذلك كثير. والآن ما اسمُ القومِ الَّذين كانوا يَسْكنون المدينةَ قبلَ الهجرة؟.

أجاب عماد:

- إنَّهما قبيلتا **الأَوْسِ والخَزْرَجِ** يا جدِّي، وقد أسماهم الرَّسولُ ﷺ **بالأنصار**، لأنَّهم آمنوا به وأحبُّوه فوقَ نفوسهم وأولادِهم، فنصروا دعوتَهُ ورسالتَهُ، كما أطلق ﷺ اسم **المُهاجرين** على صَحابته الَّذين لَحِقوا به قادمينَ من مكَّة نحو المدينةِ.

- بارك الله بكم جميعاً يا أبنائي. والآن مَن يُسمعنا شيئاً ممَّا يحفظه من أحاديث تدور حولَ فضلِ هذه المدينة الطَّاهرة؟.

- نعم يا جدِّي، فقد قرأتُ شيئاً عن ذلك في بعض كتبِ الأحاديث، وممَّا أذكره: قوله ﷺ: **(اللَّهمّ إنَّك أخرجْتَني من أحبِّ البقاع إليَّ، فأسكنِّي أحبَّ البلاد إليك)** فأسكنه الله المدينة(١).

وقوله: **(ما على الأرض بقعة أحبُّ إليَّ مِن أن يكون قبري بها)**(٢) يعني المدينة.

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه مالك.



وقوله الآخر: (**من استطاع أن يموتَ بالمدينة فليمتْ بها، فإنِّي أشفعُ لمن يموتُ فيها**)(١).

وحديثه: (**اللَّهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبِّنا مكَّةَ أو أشدَّ**)(٢).

وأخيراً قوله: (**من أراد المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملحُ في الماءِ**)(٣) وغير ذلك كثير من الأحاديث.

- وفَّقكَ الله يا عامر، وأودُّ أن أُضِيفَ على كلامِك الثَّمينِ هذا: أنَّ من فضلِ المدينةِ على غيرها من البلادِ، أن اختارَها اللهُ تعالى لتكونَ مهبطاً للملائكةِ المقرَّبينَ، ومنزلاً للوحي الأمين، فقد كانَ ينزلُ جبريلُ عليه السلام إلى أرض المدينة حاملاً تعليماتِ القرآنِ وتوجيهاتِه الخالدةَ.

سكَتَ الجَدُّ قليلاً، ثمَّ أضافَ:

- وقد جعل تعالى على أبواب المدينة كما ورد في العديد من الأحاديث، حَرَساً من الملائكة يمنعون دخول الدَّجَّال وداء الطَّاعون إليها، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (**المدينة يأتيها الدَّجَّال فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يقربها الدَّجَّال ولا الطَّاعون إن شاء الله**)(٤).

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البخاري.



ومن فضائـل المدينة الأخرى يـا أحبابي: **أنَّهـا** أصبحتْ مستقرّاً لصحابة الرَّسـول الكريم من الأنصارِ والمُهاجرين بعد موتِـه ﷺ، كما أنَّها غـدتْ فيما بعـد **عاصمةً لحُكم الخُلفاء الرَّاشدين.**

ومن بركات المدينة أيضاً: ما عُرفَ عن بركةِ العِبادةِ فيها، وقد وردتْ أحاديثُ عديدةٌ في ذلك، مثل قولِه ﷺ: **(صلاةُ جمعةٍ بالمدينـة كألفِ صـلاةٍ فيما سـواها، وصيامُ شـهرِ رمضانَ بالمدينة كصيام ألفِ شهرٍ فيما سواها)**[١].

وقد جعل ﷺ المدينـة الدَّار التي يـأرز[٢] الإيمـان إليها[٣]، وفضَّلها على غيرها من المُدن بقولـه: **(والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون)**[٤].

تابع الجَدُّ حديثَه الَّذي شدَّ اهتمامَ أصدقائنا:

- ولعظيـم حبّه ﷺ لهذه البلـدة الطَّيّبة يا أبنائي، نـراه دعا لها ولأهلها بالبركة، فقال: **(اللَّهمَّ اجعلْ بالمدينةِ ضعفَي ما جعلتَ بمكَّة من البَرَكةِ)**[٥].

---

(١) مسند أبي الفرج.

(٢) **يأرز**: يأوي ويستقر.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.



- وقال أيضاً في حديث آخر: (**اللَّهمَّ بارك لنا في مدينتنا، اللَّهمَّ بارك لنا في صَاعِنا، اللَّهمَّ بـارك لنا في مُدِّنا، اللَّهمَّ اجعل مع البركة بركتين**)(١).

- وما معنى صاعنا ومُـدّنا يا جَدَّي؟.

- الصَّاعُ والمدُّ يا عامر، وحدتانِ اسـتخدمهما العـربُ قديماً، لتقديرِ كميَّةِ الحبوبِ المزروعةِ، كالقمحِ والشَّعيرِ وغيرهما.

أخذ الجَدُّ ينظـر في وجوهِ أبنائه، وقد بـدتْ عليهم علاماتُ الانتباه والتَّركيز، فهم يسـتمعون لأحاديثَ جديـدةٍ عليهم، تدلُّ على عظمة هـذه البلدة التـي يزورونها، ومكانتهـا الرَّفيعة في الإسلام، ثم تابع حديثه:

- ونرى رسولَنا الكريم، وهو يحثُّنا على الصَّبر على ما قد يُلاقي سـاكنُ المدينةِ من شـدَّةٍ وصعوبةٍ في العيش أحياناً، وهاهو يُحَدِّثنا عن ذلك فيقول: (**لا يصبرُ على لأوائها وشـدَّتها أحَد، إلَّا كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يومَ القيامة**)(٢).

وقد قمتُ يا أبنائي الأعزَّاء بشـراءِ بعض الكتبِ الَّتي ستُعيننا بإذن الله، على معرفةِ المزيدِ من المعلوماتِ الَّتي سـنحتاجها، أثناء رحلتنا للتعرُّف على أهم آثارِ هذه المدينةِ المباركةِ.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.



وأخذ الصِّغارُ يُناقشونَ جَدَّهم حولَ معالمِ المدينةِ، ودخلوا في حوارٍ شــائقٍ، وقد أظهر كلٌّ منهم أمامَ الآخريــن ما لديه من معلوماتٍ، كان قد درسَها في كتابِ التَّاريخ، أو أفاد منها عبرَ سماع البرامج المفيدة من الإذاعة والتلفزيون.

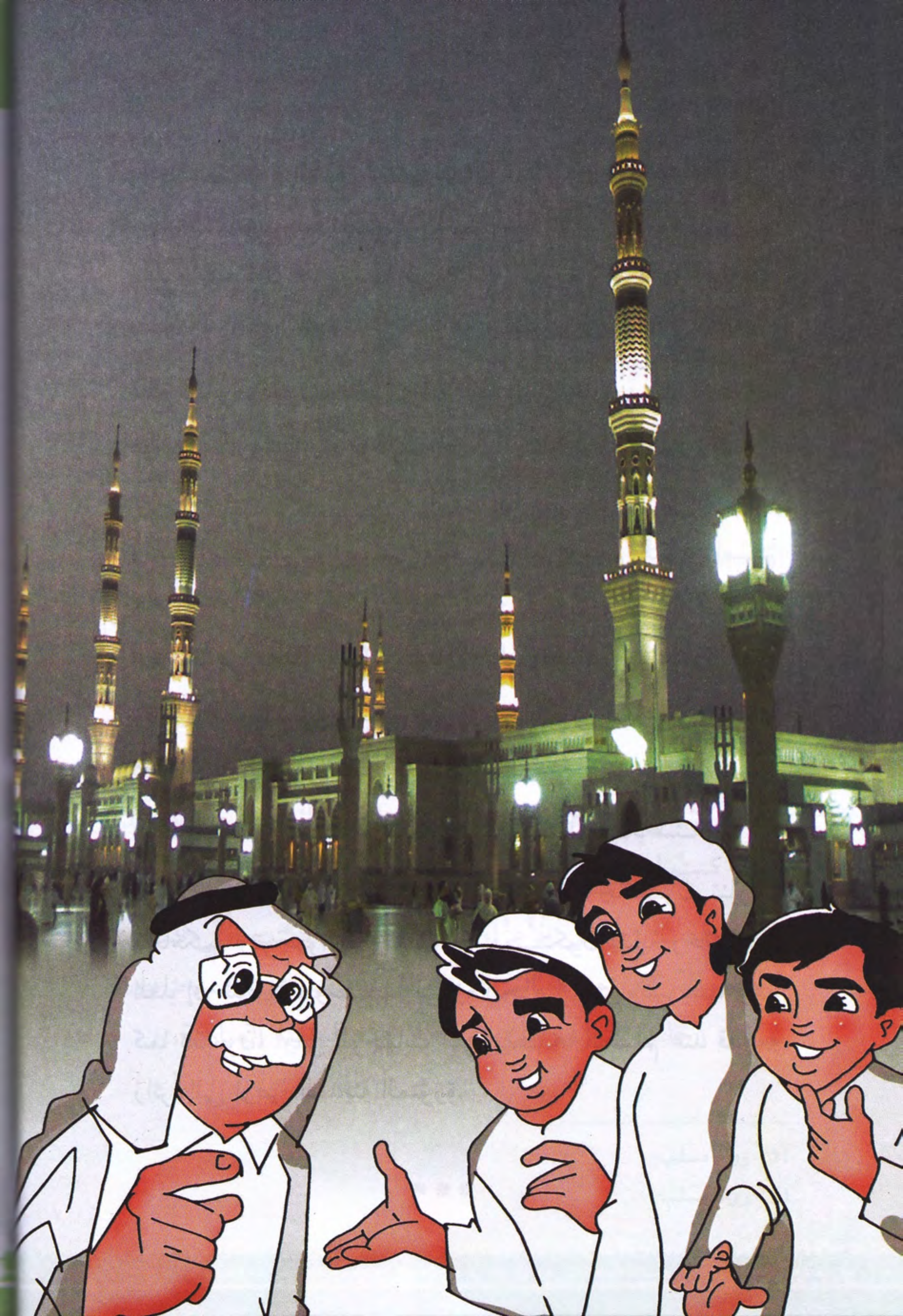
قطع الحوارَ صوتُ الجَدَّة وهي تُنادي الصِّغار:

- هيا يا عمَّار، هيا يا أعزائي، تفضَّلوا بتناول طعامكم، وأكملوا حديثكم فيما بعدُ.
- ولكن لماذا ذكرتِ اســمي فقط يا جَدَّتي، ولم تذكري اســمَ عامر وعماد؟.
- ألم تخبرني بأنَّك جائعٌ ومشتاقٌ لتناولِ طعامي يا عمَّار؟!.
- وهل أنا الجائعُ الوحيدُ يا جدَّتــي، صدِّقيني إنَّ عامراً وعماداً جائعان أكثر مني.

ضحكَ الجدُّ كثيراً لمداعبةِ الجَدَّةِ لأصغرِ الأحفادِ سنّــاً:

- حســناً، لا بأس يــا عمَّار. هيَّــا بنا فكلُّنــا جائعــون. تناولوا طعامَكم، وتوجَّهوا إلى فراشِكم، وســتكون بداية رحلتنا في الغدِ إن شاء الله، وســنبدأ بزيارةِ الحرم النبويِّ الشَّريفِ، وهو كما تعلمونَ، أولى الوجهاتِ الَّتي يقصدُها المسلمُ عندَ قدومهِ زائراً إلى أرضِ المدينةِ المنوَّرةِ.

* * *







زيارةُ المسجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ

في صباحِ اليومِ التَّالي، استيقظ الصِّغار باكراً، وكانوا في قَمَّةِ نشاطِهم وتطلُّعهم، للبَدْءِ في برنامجهم الجديدِ الَّذي طالما ارتقبوه وانتظروه.

قال الجَدُّ محيِّياً أحفادَه الثَّلاثة:

- صباحُ الخيرِ يا أبنائي، هل أنتم مستعدُّونَ لزيارةِ مسجدِ النبيِّ ﷺ ؟.

- صباحُ الخيرِ يا جدِّي، نعم نحنُ في أتمِّ الاستعدادِ.

وانطلقتِ القافلة الصَّغيرة التي استقلَّتْ سيارةَ الجَدِّ، وكان الحرمُ النبويُّ الشَّريفُ وجهتَهم الأولى، ولم يتوقَّف الصِّغارُ وهم في طريقِهم إلى هناك، عن الكلامِ والنِّقاشِ فيما لديهم من معلوماتٍ تخصُّ زيارتَهم القادمةَ.

- قبل أن نبدأ يا أحبَّائي بالحديثِ حول مسجدِ الرَّسولِ الكريمِ، أودُّ أن أوضِّحَ لكم أولى اهتماماته ﷺ، وما قام به فورَ وصوله إلى المدينة من عمل هامٍّ، وهو **المؤاخاةُ بين أهلِ المدينةِ من الأنصارِ، ومَنْ قَدِمِ إليها منَ المهاجرينَ من مكَّةَ.**



- وماذا تعني بالمُؤاخاة يا جَدِّي؟.
- هذا سؤالٌ هامٌّ يا عمَّار. إنَّ هذه الكلمة العظيمة تعني أن يُصْبحَ الأنصارُ إخوةً للمهاجرين، وبذلك أصبح لكلِّ أنصاريٍّ من أهل المدينــة أخٌ جديدٌ جــاء إليه من مكَّــة. وقد وصــلَ الصَّحابةُ المهاجرونَ إلى المدينةِ في ظروفٍ صعبــةٍ، فهم قَدْ تَخَلَّوا عن المالِ والأهلِ وتركوا الوطنَ، ونزلوا ببلدٍ جديدٍ لا يملكون فيه شيئاً، فرحَّب بهم إخوانُهم من الأنصار خيرَ ترحيبٍ، وقاسموهم عن طِيب نفسٍ برباطِ المؤاخاةِ الجديدِ، أموالَهم ومنازلَهم.
- هل تذكرُ لنا بعضَ الأمثلة عن تلك المؤاخاة يا جدِّي؟.
- نعم يا عمــاد، لقد آخى رســولُ الرَّحمة مثــلاً بين **أبي بكر الصِّدِّيق** و**خارجة بن زهير**، كما آخى بيــن **عمر بن الخطَّاب** و**عِتبان بن مالــك**، وبين **جعفر بن أبي طالبَ** و**معاذ بن جبل**، رضي الله عنهم جميعاً.



تابع الجدُّ كلامَه:

- وقد ذكرتْ لنا كتبُ السِّيرةِ يا أحبابي، الكثيرَ مِنْ قصصِ المُؤاخاةِ تلك، ومن أروعِها **قصة عبد الرحمن بن عوف مع أخيه الجديد سَعْد بن الربيع**، إذ عرض عليه سعدٌ بصدقٍ أن يعطيه نصفَ مالِه، وقد كانَ من أغنياءِ أهلِ المدينةِ، وقد قدَّمَ عرضَهُ السَّخِيَّ هذا إرضاءً لله، وتطبيقاً لتعليماتِ رسولِهِ الكريمِ.

وقد خاطبَ رسولُنا ﷺ أهلَ المدينة من الأنصار قائلاً فيهم: **(إنَّ إخوانكم قد تركوا الأموالَ والأولادَ، وخرجوا إليكم)**.
فأجاب القومُ المؤمنون بقولهم الخالد: يا رسول الله، أموالنا بيننا وبينهم قطائع.

- وما معنى قولُهم هذا يا جَدِّي؟.

- أي أنَّهم قرَّروا اقتسامَ جميعِ أموالهم وممتلكاتِهم مَعَ إخوانهم المُهاجرينَ. وكان ممَّا اتفق عليه الأنصارُ أيضاً أن يتقاسَمُوا مع ضيوفهم المهاجرينَ، ما تنتجه نخيلُهم من التُّمور. وبذلك يا أحبابي ضربَ أهلُ المدينةِ أعظمَ أمثلةِ الكرمِ والسَّخاءِ، في تاريخِ الأمَّةِ المسلمةِ.

سكتَ الجدُّ قليلاً، وتابع حديثَه:

- وقد هَدَفَ ﷺ بهذه الخطوةِ الحكيمةِ، إلى تقويةِ المجتمعِ المُسلمِ الجديدِ، وزرعِ بذورِ الحبِّ والمودَّة والإخاءِ بين أبناء الإسلام، ليصبحوا كالجسدِ الواحدِ ينهض بكلِّ ما يُلقى عليه



مـن الأعباءِ والمهـامِّ، وكانـت أُولى كلماتـه ﷺ بعد ذلك، مخاطباً مجتمع المدينة: (**يا أيُّها النَّاس: أفشوا السَّلام، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصَلُّوا باللَّيـل والنَّاس نيام، تدخلوا الجنَّة بسلام**)(١).

وبتلك المؤاخاة يا أبنائي، تبرَّأ المسـلم من شقيقه الكافر، واسـتبدله بأخٍ مسـلمٍ جديدٍ، ارتبـطَ به بربـاطِ العقيدةِ لا برباطِ النَّسَـبِ، واختفتْ في المجتمـعِ الجديدِ عواملُ الجاهليةِ الَّتي كانت تُنادي بالفخرِ بالأنسابِ، وحلَّ مكانَها ما أقـرَّه القرآنُ بقوله تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

والآن لديَّ سـؤالٌ يا أبنائي: في سـورةِ الحشـرِ آيةٌ مدحَ الله تعالى بها عبادَه من الأنصار، فمن منكم يعرفها؟.

- أنا يا جدِّي. إنَّها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

- أحسـنتَ يا عمَّـار، وفقكَ الله. وبعـد ذلكَ يا أحبَّائـي، عقدَ رسـولُ الله ﷺ **اتفاقيَّةَ سـلامٍ بين أهلِ المدينة واليهودِ** الَّذين

(١) رواه الحاكم.



كانــوا يُجاورونهــم فيهــا، وضَمِنــتْ هذه الاتفاقيَّة لكلِّ فريــق حقوقَه، وفرضتْ عليه واجباتٍ تجاه الطَّرفِ الآخــرِ، وهَدَفَ ﷺ بذلك، إلى بسطِ الأمنِ الشَّاملِ والاطمئنانِ، في مجتمعِ المدينةِ الجديدِ.



سكتَ الجدُّ قليلاً، ثمَّ تابَعَ:

- والآن اقرأ لنا يا عامر من الكتابِ الَّذي معك، شيئاً عن تاريخِ الحرمِ النبويِّ الشَّريفِ.

- نعم يا جدِّي. شرعَ[١] رسولُ الله ﷺ عندما قدمَ المدينةَ مهاجراً من مكَّةَ، **ببناءِ مسجدٍ** يضمُّه هو وأصحابه، ويجمعهم خمسَ مرات في اليوم واللَّيلة، لأداء ما فرضه الله عليهم من الصَّلوات المكتوبات، كما حرص عليه الصلاة والسلام على أن يكون هذا المسجدُ مكاناً تُدارُ فيه أمورُ المسلمينَ، ويتدارسونَ فيه شأنَ دينِهم وأمورَ دُنياهم، وأخذ الرَّسول الكريم ينشرُ فكرَ الإسلام وتعاليمَه الخالدةَ في مسجدِه الجديدِ، وأخذ أصحابُه ينهلونَ[٢] منه ما أرادوا، وقد توافرتْ لهم عواملُ الأمْنِ والسَّلامِ في مجتمعهم الجديدِ.

قال الجَدُّ:

- أحسنتَ يا عامر. إذن يا أولادي فللمسجدِ في الإسلامِ - كما تَرَونَ - دورٌ هامٌّ ورسالةٌ خالدةٌ في المجتمعِ، فهو ليسَ مكاناً للعبادةِ وأداءِ الصَّلواتِ فحسب، بل هو كذلكَ مكانٌ يضمُّ أفرادَ المجتمعِ المسلمِ، ويجمعهم في تآلفٍ وتراحُمٍ، في جوٍّ إيمانيٍّ خاشعٍ، يتفقَّد فيه النَّاسُ أحوالَهم، فيقومون بشأن الضَّعيف فيهم، ويعينون ذَا الحاجة منهم، وبذلك

(١) شرع: بدأ.
(٢) ينهلون: يأخذون.



يتحقَّق مقصدٌ هامٌّ من مقاصد هذا الدِّين الحنيف. والآن تابعِ القراءةَ يا عامر.

- وكان للمسجدِ في عهدِ الرَّسولِ الكريمِ أيضاً وظائفُ اجتماعيَّةٌ، فقد احتضنَ فقراءَ المسلمينَ مِنَ المُهاجرين، وخُصِّص لهم مكان في آخره لجلوسهم ونومهم، وعُرف هذا المكان بالصُّفَّة، ونُسِب هؤلاء إليه فعُرفوا **بأهل الصُّفَّة**، وكانَ أهلُ المدينةِ من الأنصارِ يحملونَ إليهم الطَّعامَ، وكثيراً ما جالسهم رسولُ الله ﷺ، وأكلَ معهم، ودعا لهم دعاءً كريماً.

أنهى عامر قراءةَ كتابِهِ، فأضاف الجدُّ قائلاً:

وكان المسجدُ أيضاً يا أحبابي، الموقع الَّذي تجري فيه المشاوراتُ بين المسلمين، وتُتَّخذ فيه قراراتُهم، وكانَ مكانَ استقبالِ الوفودِ الَّتي تقدمُ إلى المدينةِ، للاجتماعِ برسولِ الله ﷺ. إذن يمكننا أن نقولَ بالتعبيرِ الحديثِ: لقد كانَ المسجدُ في عهد الرَّسول عليه الصلاة والسلام مقرَّ رئاسةِ الدَّولةِ ووزرائها ومستشاريها، ومقرَّ اجتماعاتِ عامَّةِ المسلمينَ.

وقد وعى الصَّحابةُ هذا الدَّرْسَ العظيمَ من رسولهم الكريمِ، فأدركوا ما للمسجدِ من دَوْرٍ هامٍّ في حياةِ الأمَّةِ الإسلاميةِ، ولذلك نراهُم فيما بعدُ، وهم يُسارعونَ ببناءِ المساجدِ عند تأسيسهم للمدنِ الجديدةِ، وبناءِ بيوتهم حولَ تلك المساجدِ، حرصاً منهم على أداء رسالتها، والقيام بحقوقها ومتطلَّباتها.



واستمرَّ الجدُّ في كلامه الشَّائق، وهو يحدِّث أصدقاءنا حول مسجد الرسول ﷺ:

- وقد حدَّد الرسولُ الكريمُ الأرضَ الَّتي اختارها الله تعالى لتكون فيما بعد مسجداً لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وقد اشترى تلك الأرض من غلامَين يتيمين من الأنصار، هما **سهل وسُهيل**، وقد كانت بُستاناً لهما، ودفع مقابلَ ذلك عشرةَ دنانيرَ ذهبيةٍ، ثم قامَ بمساعدة الصَّحابة رضي الله عنهم بتنظيفِ الأرضِ وتسويتها[١]، وقد وصفتِ الكثيرُ من الأحاديثِ حالةَ الرَّسولِ الكريم، وهو يحملُ الحجارةَ اللَّازمة لبناءِ المسجدِ مع أصحابه يداً بيد، وكان ﷺ يقول، وهو ينقل تلك الحجارةَ على ظهره الشَّريف:

اللَّهمَّ إنَّ الأجرَ أجرُ الآخرة فارْحَمِ الأنصارَ والمُهَاجِرَة

كما جاءت أحاديثُ أخرى، تؤكِّد مشاركة نساء الصَّحابة في عملياتِ البناءِ تلك، وقد تمَّ إنشاءُ أساساتِ المسجدِ النبويِّ من الحجارة، ووُضعتْ حينها على عُمق ثلاثة أذرع، واستخدموا الطِّينَ لبناءِ حيطانِ المسجدِ، والجريدَ[٢] لبناءِ السَّقفِ، واستخدمتْ جذوعُ النخلِ في أعمدته، وقد كانت تلك الأعمدةُ حينها من الخشبِ، وكان طُولُ الحرمِ آنذاك يا أحبابي سبعين ذراعاً، وعرضه ستِّين ذراعاً، وقد جعل رسول الله ﷺ للمسجد حينها ثلاثة أبواب فقط.

---

(١) **تسويتها:** إعدادها وتجهيزها للبناء.

(٢) **الجريد:** جزء من أجزاء النخيل.

- لقد تمَّ استخدامُ الطِّينِ وجذوعِ النَّخيلِ، لقد كانَ البناءُ إذن بسيطاً يا جَدِّي.

- هذا صحيحٌ يا عماد، فلم تكن فنونُ البناءِ والعمارةِ قد تطوَّرتْ في ذلك الوقتِ، وكانت جميعُ مباني المدينةِ تُبنى بهذه الطَّريقةِ، ولا شكَّ أنَّ المقارنةَ أكبرُ من أن توصف بين مسجد الرَّسولِ الكريمِ في ذلك الوقتِ، ومسجده الَّذي نراه الآن.

تابع الجَدُّ وهو يرى علاماتِ الاهتمامِ في وجوهِ الصِّغار:

- وكانت مساحةُ الحرم النبويِّ في ذلك الوقت تُعادل في قياساتنا الحاليَّة (٢٤٧٥) متراً مربَّعاً، وبُنيتْ فيما بعدُ حولَ



المسجدِ **حجراتٌ**[١] لِسَكَنِ رســولِ الله ﷺ، وزوجاتِهِ أُمَّهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ.

- وكيف كانت حياة الرَّسول ﷺ في بيته الجديدِ هذا يا جدِّي؟.

- ســؤالٌ جميل يا عامر! لقد كان بيتُ النُّبُوَّة رمزاً فريداً للزُّهدِ والقناعةِ والاكتفــاءِ بالقليل، وعن ذلك تحدِّثنــا أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها فتقولُ: «ما شــبع آلُ محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بُــرٍّ ثلاث ليــال تباعاً حتَّى قُبــضَ[٢]». وقــد كان أهلُ بيته ﷺ، يعتمدونَ في طعامِهم على الأسْوَدَيْنِ.

- وما الأسْوَدَانِ يا جَدِّي؟.

- إنَّهما التَّمرُ والماءُ يا عمَّار. وكثيراً ما خرجَ رسولُنا الكريمُ من بيتِهِ وهو يشعرُ بشــدَّةِ الجوعِ! أمَّا فراشُه فكانَ من الأدَمِ، وهو الجلدُ، وحشوُه من اللِّيفِ، أي: من قشرِ النَّخيلِ.

- ومن هم جيرانُ الرَّسولِ ﷺ في سكنهِ الجديدِ يا جدِّي؟.

- ســؤالك ذكيٌّ يا عماد، لقد ســارع الكثيرُ من المهاجرين إلى بناءِ بيوتِهم قُرب المسجد الجديد، حتَّى يكونوا طيلةَ أوقاتهم إلى جــوارِ حبيبهم ﷺ، وكان من هــؤلاء: **أبو بكر الصِّدِّيق، وعليُّ بــن أبي طالــب، وعبدُ الله بــن مســعود، وســعدُ بن**

---

(١) **حجرات**: جمع حُجرة وهي الغُرفة.

(٢) **قُبض** (بضم القاف): مات.

أبي وقَّــاص، وعبدُ الرَّحمن بن عوف، والعبَّــاس، وجعفرُ بن أبي طالب، وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً.

- قرأتُ يا جدِّي أنَّه تمَّ توسعةُ الحرمِ النبويِّ الشَّريفِ عبرَ التَّاريخِ الإسلاميِّ، عدَّةَ مرَّات، فمتى تمَّ ذلك؟ وما كان الدَّافعُ إليه؟.

- هذا صحيح يا عامر. أنتم تعلمون يا أبنائي أنَّ أعداد المسلمين أخذتْ تزيد شيئاً فشيئاً عندما دخل النَّاسُ في دينِ الله أفواجاً، وبدؤوا يهاجرونَ نحو المدينةِ مــن كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ، وأخذَ المسجدُ النبويُّ يضيق أمامَ جمعِ المصلِّين، وهذا دَعَا النبيَّ ﷺ إلى التفكيرِ في ضرورةِ توسعةِ مســجدِه الشَّريف، وتمَّ الأمرُ بعد مضيِّ ستِّ ســنواتٍ على عمليَّة بنائه الأولى، وبالتَّحديد عندما عادَ المســلمونَ من غزوةِ خيبر، **فزاد البناءُ مقدارَ ثلاثةِ أعمدةٍ** من النَّاحيةِ الغربيَّةِ للمسجدِ، وبذلك أصبحَ طولُ الحرمِ بعد هذه التَّوسعةِ مئةَ ذراعٍ، وعرضُه كذلك مئة ذراعٍ.

وقد اقتدى المسلمون بعد ذلك بفعلِ رسولِهم الكريم، واتَّبعوا هذه السُّــنَّةَ الجليلةَ، فصاروا يوسِّــعونَ المســجدَ كلَّما دعتِ الحاجة إلى ذلك.

أخذ أصدقاؤنا الثَّلاثةُ يتابعونَ باهتمام حديثَ الجدِّ، فقد كان ما يذكره من المعلومات الثَّمينة جديداً بالنِّسبة إليهم.

- وكانت **أولى توســعات الحرم الشَّريف بعد وفاة الرسول** عليه الصلاة والسلام، **في عهد عمر** رضي الله عنه، وتمَّ ذلك ســنة (١٧) للهجرة، فقد زادَ في

مساحةِ البناءِ من جهاتِ الحرمِ الشَّماليةِ والجنوبيةِ والغربيةِ، إذ قام بشراءِ الدُّورِ المجاورةِ للحرمِ من أصحابِها، وضمَّ أرضَها لصالحِ هذا المشروعِ، وزادَ الخليفةُ الفاروقُ أيضاً في توسعته عددَ أبوابِ المسجد، فأصبح مجموعُها ستةً.

- وماذا عن ناحيةِ الحرمِ الشَّرقية يا جدِّي؟.

- لم يقتربْ سيدُنا عمرُ من تلك النَّاحية، احتراماً لبيوت أمَّهات المؤمنين، الَّتي بقيتْ على حالها، منذ أن بُنيتْ في عهدِ الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام.

- أفْهَمُ من كلامِكَ أنَّه لم تحدثْ أيةُ تَوْسِعاتٍ في بناءِ الحرم في عهد سيدنا أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يا جدَّي؟.

- هذا صحيحٌ يا عماد، فقد كانت خلافةُ الصِّدِّيقِ أولِ الخلفاءِ الرَّاشدين رضي الله عنهم قصيرةً، كما أنَّ انشغاله **بحروب الرِّدَّة**، منعه من توسِعةِ الحَرَمِ الشَّريفِ.

قال عمَّار:

- حدِّثنا يا جدِّي عن حروب الرِّدَّة تلك.

- لقد ارتدَّتْ بعضُ قبائلِ العربِ عن الإسلامِ، بعد وفاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وعادوا بذلك إلى الكُفْرِ بعد أن أنقذهم الله منه، وقد تجرَّأ بعض هؤلاء فكذبوا وادّعوا النبوة، مثل: **مسيلمة، وطليحة، والأسود العنسي.**



كما عادَ الكثيرُ من أفراد تلك القبائل إلـى ارتكابِ ما حرَّمه الإسلامُ من عاداتِ الجاهليةِ، كالرِّبا، والمَيْسِرِ، وشُرْبِ الخَمْرِ، وتغافلوا عن أحكامِ الشَّـرعِ الَّتي نَهَـتْ عنها، ورفضَ آخرون منهم دفعَ زكاةِ أموالهم.

سألَ عمَّار:

- وما ردَّة فعلِ الخليفةِ الصِّدِّيقِ حولَ تلكَ الأحداث يا جَدِّي؟.
- لقد اجتمعَ أميـرُ المؤمنين رضي الله عنه بكبارِ صحابةِ رسـولِ الله ﷺ، فتدارسوا سَيْر الأمورِ، وتشاوَرُوا فيما بينهم، واتفقوا على إعدادِ الجيوش الَّتي زحفتْ لقتالِ هؤلاء المرتدِّين، وقد خرج الكثيرُ



من الصَّحابة مع تلك الجيوش المُباركة، الَّتي كانت تحت قيادة فُرسان الإســلام؛ مثل: **خالد بن الوليد، وعِكرمة بن أبي جهل، وعَمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة** رضي الله عنهم جميعاً.

وفي نهاية تلك المعارك، عادت الأمور بعد ذلك إلى وضعها السَّــابق، فدخل النَّاس في الإســلام ثانية، وهَــدَأَتْ أوضاعُ الجزيرةِ العربية، وهَنَأَتِ الأمَّةُ الإسلاميةُ بالاستقرارِ من جديدٍ.

سكت الجدُّ قليلاً ثم تابع حديثه:

- أمَّا **التَّوســعة الثَّالثة**، فقد قامت على يــدِ **الخليفةِ عثمانَ** رضي الله عنه، سنة (٢٩) هجرية، وذلك في السَّــنةِ الرَّابعةِ من خلافته، فعَمَرَ المسجدَ بالحجارةِ المنقوشــةِ، وأدخلَ الحديدَ والرَّصاصَ في بناءِ الأعمدةِ، وزادَ في البناءِ من ناحيةِ القِبلةِ، وجعلَ السَّــقفَ من خشــبٍ يُدعَى السَّــاج، وبنى في توســعته تلــك محرابَه المعروف باســمه، والذي بقي حتَّى الآن مصلَّى إمام الحرم، ولم يــزدْ عثمانُ في عــددِ الأبوابِ، وبقي كمــا هو في عهد عمر رضي الله عنه، أي: ستة أبواب.

ثمَّ تتابَع ـ أيُّها الأحباب ـ ذلك الأمرُ المباركُ، فزاد في مساحة المســجد النبويِّ العديدُ من خلفاء المسلمين، مثل: **الوليد بن عبد الملك**، على يد عامله في المدينة **عمر بن عبد العزيز** في ســنة (٨٨) للهجرة، وكان الوليدُ أوَّلَ من بنى مناراتِ الحرم، فوضع في كلِّ رُكن منه منــارة، فأصبح للحرمِ أربعٌ منها، كما



زادَ عددُ الأبوابِ في هذه التَّوسعةِ حتَّى بلغَ عشرين باباً، وتمَّ بناءُ بعضِ الشُّرفاتِ أيضاً.

تابع الجَدُّ حديثَه:

- وقد أمر خليفةُ المسلمين الوليدُ، بشراء المزيدِ من الدُّور حولَ الحرم، وقد **امتدَّتِ التَّوسـعةُ لأول مرَّة في تاريخ الحرم نحو الشَّــرق، وتمَّ ضمُّ حُجُراتِ أمَّهاتِ المؤمنينَ وقبرِ الرَّسول ﷺ ضمن تلك التَّوسعة.**

وبعد توســعةِ الوليدِ تلك، قام مَن بعده مِن خُلفاءِ المسلمين، بعملِ ترميماتٍ وإصْلاحاتٍ لِمَا كَان يظهرُ في بناءِ الحرمِ بين حينٍ وآخر من هَدْمٍ أو خَرابٍ، إلى أن جاءتِ الدَّولةُ العبَّاسيةُ، فتمَّ توســعةُ المســجدِ بأمر من **الخليفة المهــديِّ**، الذي جاء حاجّاً في تلك السَّــنَة، فــزار الحرمَ النبــويَّ ولاحظَ حاجتَه للتَّرميمِ والتَّوْسِعةِ.

وقد بدأتْ أعمال توســعة المهديِّ تلك سنة (١٦١) للهجرة، وانتهتْ ســنة (١٦٥) للهجــرة، وقد أمر فيها المهــديُّ فزيّن المســجد بالفسيفســاء لأول مرَّة فــي تاريخِــه، ووصلَ عددُ الأبواب إلى أربعةٍ وعشرينَ باباً.

- وما معنى الفسيفساء يا جَدِّي؟.
- هي قطع صَغيرة ملوَّنة من الزُّجاج وغيره، وتُستخدم لأغراضِ الزِّينة والرُّسوم.



ســكت الجدُّ قليلاً، وأخذ يحاولُ اســتذكارَ ما لديه من فوائدَ ومعلوماتٍ.

سأل عمَّارٌ وقد بدا عليه الاهتمامُ:

- وماذا عن التَّوسِعات الأخرى يا جَدِّي؟.

- تتابعَ هــذا الأمرُ المباركُ يــا أبنائي الأعزَّاء، وكان المســجدُ النبويُّ مكانَ اهتمامِ خُلفاء المسلمين وملوكِهم وأمرائِهم على مرِّ العصورِ، وكانت توســعتُه شَــرَفاً حَرِصَ الكثيرُ منهم على تحقيقه، بُغية نيل الأجر والثَّواب من الله تعالى، فهم آمنوا أنَّ تشــييدَ بيوتِ الله وعمارتها، من أعظمِ أعمالِ الخيرِ، وبخاصَّةٍ تلك المســاجدِ الَّتي أسَّسها رســولُ الله ﷺ، وباركها بالصَّلاةِ فيها، وبذلك قد حفظَ المســلمونَ واستشعروا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨].

تابع الجدُّ حديثَه:

- وأصبحتْ تلك المســاجدُ فيما بعدُ دُوراً للعبادةِ والعلمِ، الَّتي يشــعُّ منها نورُ الإيمانِ واليقينِ، وغدتْ محــطَّ أنظارِ ملايين المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغارِبِها.

- هل تذكرُ كتبُ التَّاريخ ما حدث من إضافات في بناء الحَرَم، بعد ذلك العهد العباسيِّ يا جَدِّي؟.



- نعم يا عمـاد، ففي عـام (٨٨٨) للهجرة، أضاف **السُّـلطان المملوكيُّ قايتباي**، بعض الزِّيـادات في بناء الحُجرة النبويَّة الشَّـريفة، وقد حدثتْ إضافات أخرى وتجديدات قبل تلك الفترة وبعدهـا، على يد خلفـاء الدَّولـة وأمرائها في ذلك الوقت.

ومن أكبر ما شـهده الحرمُ النبويُّ الشَّـريفُ من التَّوسِـعَات يا أحبابـي، مـا كان في عهـد **الخليفـة العثمانيِّ السُّـلطان عبد المجيـد**، وقد بـدأتْ فيها أعمـالُ البناءِ عـام (١٢٦٥) للهجرة، بتوسـيعِ المسـجدِ من النَّاحيةِ الشَّـماليةِ والشَّرقيةِ، وأضيف إلـى الحرمِ بابٌ جديدٌ، عُرفَ باسـم بابِ المجيدي نسـبةً إلى هذا السُّـلطانِ، كما امتازتْ هذه التَّوسِـعةُ بجمالِ الزَّخارفِ، وبنـاء القبابِ والأعمدةِ الحجريَّـةِ، وكتابةِ الآياتِ بخطوطٍ جميلةٍ على جُدرانِ المَسْـجِدِ، وما يـزال ذلك قائماً حتَّى الآن.

- وماذا أضاف السُّلطان عبد المجيد أيضاً يا جَدِّي؟.
- مهلاً يا عمَّار، دعني أرتَحْ قليلاً.
- المعذرة يا جَـدِّي، إنَّ معلوماتك ثمينة جدّاً، ونحن نسـمعُها الآنَ أوَّل مرة، ولذلك نحرصُ على أن نزيدَ منها.
- حسناً فلنكملْ إذن، لقد تمَّ في هذه الأثناء أيضاً: **إنشاءُ مدارس خاصَّة لتعليم القـرآن الكريم، وأُنشـئ مخزنٌ كبيـرٌ للزَّيت**



الخاصّ بإنارة قناديل الحرم ليلاً، فلم تكن الكهرباء قد استُخدمتْ بعد، واستمرَّتْ أعمالُ البناء تلك بالإضافة إلى أعمال الكتابة والزَّخرفة والنُّقوش حتَّى سنة (١٢٨٠) للهجرة، ووصلتْ مساحةُ الحرمِ النبويِّ بهذه التَّوسِعة، إلى أكثرَ من عشرةِ آلافِ مترٍ مربَّع.

وبعد تلك التَّوسِعة بسنواتٍ يا أحبابي، جاءت **التَّوْسِعة السُّعودية المباركة**، وهي أكبر توسعة عرفها تاريخ المسجد النبويِّ الشَّريف.

- ومتى بدأت أعمالُ هذه التَّوسِعة يا جَدِّي؟.
- في عام (١٣٦٨) للهجرة، أصدر **الملكُ عبدالعزيز آل سعود** رَحِمَهُ اللهُ أمراً بِعزمِهِ على توسعةِ المسجدِ النبويِّ الشَّريفِ، فقد شعرَ النَّاسُ في ذلك الوقتِ بضيقِ مساحةِ الحرمِ، وعدمِ قُدرتهِ على استيعابِ المصلِّينَ والزَّائرينَ، وبخاصَّةٍ أيامَ المواسمِ والجُمَعِ ورمضانَ والأعيادِ، وقد شجَّعَ على ذلك استتبابُ الأمنِ في رُبوعِ الجزيرةِ العربيةِ بعد أن تمَّ توحيدُها، فزادُ عدد زوَّار الحرمين من داخل البلادِ وخارجها من دول العالم الإسلاميِّ المختلفة.

وبدأتْ أولى مراحلِ التنفيذ في سنة (١٣٧٠) للهجرة، وذلك حين تمَّ شراء الدُّور والأراضي المُحيطة بالحرم النبويِّ، وتمَّ هدمها للبدء في أعمال البناء، وتمَّ بعدها بسنتين وضعُ حجرِ أساسِ هذه التَّوسِعة المباركة، وأُنشئ من أجلها مصنعٌ خاصٌّ

لإعداد الأحجار الصِّناعيَّة، في منطقة قريبة من المدينة تسمَّى «أبيار علي».

وقد شارك في أعمالِ البناءِ في ذلك الوقت، عشراتُ المُهندسين ومئاتُ العُمَّال والحرفيِّين، الَّذين قَدِموا للعملِ من دولٍ إسلاميةٍ عديدةٍ، وتمَّ استيرادُ موادِّ البناءِ اللَّازمةِ من الخارجِ، عبر البواخرِ إلى ميناء ينبع على البحرِ الأحمرِ، وانتهتْ أعمالُ البناءِ تلك في عام (١٣٧٥) للهجرة، وكان ذلك في عهدِ **الملك سعود بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتمَّتْ هنا أعمالُ صيانةٍ كاملة للتَّوسِعة التي قام بها السُّلطان عبد المجيد، وتمَّ تغطيةُ الأرضِ بالرُّخام الأبيضِ، وأصبح للحرمِ عشرةُ أبواب، وصحنان يفصلُ بينهما رواق.

- وهل كانت تلك آخر التَّوسِعات يا جدِّي؟.

- بالطبع لا يا عماد، فبعد ذلك بسنواتٍ قليلةٍ، ظهرتْ من جديد الحاجة إلى توسعةٍ أخرى، **فأصدر الملك الفيصل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أمرَه بتَوْسِعةٍ أخرى**، وبدأ العملُ بها سنة (١٣٩٣) للهجرة، وتمَّ فيها بناءُ **مظلَّات كبيرة** إلى الجانبِ الغربيِّ للحرمِ الشَّريفِ تتَّسِع لآلاف المُصَلِّين، بالإضافة إلى تَوْسِعة الميادين ومواقفِ السَّيَّاراتِ من جهة بابِ السَّلام.

ثمَّ جاء بعده عهدُ **الملك خالد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتمَّ بناءُ **المزيد من المظلَّات الخارجية** ومواقف السَّيارات، وتنسيق السَّاحات الخارجية المُحيطة بالحرم.



أما في عهد **الملك فهد** رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ، فقد تمَّ إصدار أمرٍ ملكيٍّ بالبدء **بتوسعة جديدة للمسجد النبويِّ**، وكان أن تمَّ وضع حجر الأساس سنة (١٤٠٥) للهجرة، وبدأ هذا العملُ المُباركُ في السَّنَةِ التَّاليةِ، فتتابعتْ أعمالُ البناء، إلى أن وصلَ الحرمُ إلى ما هو عليه الآن من المساحةِ الكبيرةِ، الَّتي فتحتْ أبوابَها الكثيرةَ أمامَ الأعدادِ المتزايدةِ من جُموعِ المسلمينَ.

اقرأ علينا يا عماد من هذا الكتاب، بعض المعلومات الإحصائية التي تخصُّ الحرمَ في صورته الحاليَّة التي نراها الآن.

- حاضر يا جدِّي. تبلغ مساحة الدَّور الأرضي من التَّوسِعة الأخيرة (٨٢٠٠٠) متر مربَّع، وله سطح واسع تبلغ مساحته (٦٧٠٠٠) متر مربَّع، يتمُّ فتحه يوم الجمعة ورمضان والعيدَين، ويتَّسع الحرمُ لأكثر من مئتين وخمسينَ ألف مُصَلٍّ، وعددُ مآذنه عشرٌ، ويصلُ طولُ المِئذنةِ الواحدةِ إلى ثمانيةٍ وتسعينَ متراً، وله خمسةٌ وثمانونَ باباً، وواحدٌ وأربعونَ مدخلاً، وثمانيةَ عشرَ سُلَّماً يؤدِّي إلى السَّطح، وستةٌ وثلاثونَ سقفاً متحرِّكاً يتمُّ فتحها كهربائيّاً، وسبعٌ وعشرونَ قبةً متحرِّكةً.

تابع عماد قراءته:

- وقد تمَّ استهلاكُ كمِّيَّات ضخمة من الإسمنت المسلَّح الَّذي يُعْطي البناء قوةً ومتانةً، كما تمَّ استخدامُ الجرانيتِ والحجرِ



المسجد النبوي الشريف

الصِّناعيِّ والرخامِ الأبيضِ لتغطيةِ أراضي المسجدِ وجدرانهِ، أما الشَّبابيكِ فصُنعتْ من نوعٍ خاصٍّ من الخشبِ الفاخرِ، ويعلوها مشربيّاتٌ من البرونز والحجرِ والزُّجاجِ المُلَوَّنِ، وفي الطَّابق السُّفليِّ مساحاتٌ كبيرةٌ مخصَّصةٌ للخدماتِ الميكانيكيةِ والأعمالِ الفنيَّةِ والكهربائيَّةِ.



وقد تمَّ إنشـــاءُ اثنتي عشـــرةَ مظلَّةً، تمَّ توزيعُهـــا على صحنَي المسجدِ المكشـــوفين، لتقي المُصَلِّين شـــمسَ الصَّيف ومطرَ الشِّتاءِ، وتتكوَّنُ كلُّ مظلَّة من مُشَبَّك من الحديدِ المرنِ، الَّذي يُغطِّيه نسـيجٌ متينٌ أبيضُ، ويبلغُ ارتفاعُ المظلَّةِ الواحدةِ أربعةَ عشرَ متراً، ويتمُّ فتحها وإغلاقها آليّاً.

وللحرم قبوٌ كبير يضمُّ شـبكةَ تجهيزاتٍ حديثة، تخدم أعمالَ التَّكييفِ والتَّهويةِ وشـبكاتِ المياهِ والإنـذارِ وإطفاءِ الحريقِ والإضاءةِ، بالإضافـةِ إلى أجهزةِ التحكُّمِ فـي القبابِ وأنظمةِ الهاتفِ والصَّوتِ والدوائرِ التليفزيونيةِ.

- وماذا عن الإضافاتِ الحديثةِ في تَوْسِعة الحرم يا جَدِّي؟.

- نعم يا عامر، لقد بـدأ في عهد خادم الحرمين الشَّـريفين **الملك عبدالله بن عبدالعزيز**، مشروع جديد لإنشاء **المزيد مـن المظـلَّات الحديثـة** التي تغطِّـي مسـاحة كبيرة من السَّـاحات المُحيطة بالحرم، ويتمُّ فتحُ تلك المظلَّات في النهار لوقاية المُصَلِّين من أشـعةِ الشَّمسِ، كما يتمُّ إغلاقُها ليلاً، فتتحوَّل المظلَّة إلى منارة طويلة جميلة، كما سـترون بعد قليلٍ.

كما أولى الملكُ عبدُالله عنايةً ملحوظةً بشأنِ الصِّيانةِ الدوريَّةِ للحرمِ، فمسـاحةُ المسـجدِ أصبحتْ الآن كبيرةً جدّاً، ويتبعُهُ الكثيرُ من المرافقِ والملاحقِ، وهذا يعني بالضَّرورةِ أن يكونَ



لذلك اهتمامٌ خاصٌ، وهذا ما نراه عبرَ أعمالِ الصِّيانةِ الخاصَّةِ، الَّتي تعملُ على مدارِ أربعٍ وعشرينَ ساعةً.

- صيانة تعملُ أربعاً وعشــرين ســاعةً؟ وهل يفتحُ الحرمُ أبوابَه كلَّ هذه الفترة يا جدِّي؟.

- نعم يا عمَّــار، لقد صــدرتْ تعليماتُ الملك عبــد الله بإبقاء أبواب الحرم مفتوحةً طوال الوقت، أمــام المصلِّينَ والزَّائرينَ والمُعتمريــنَ، وكانــت الأبوابُ قبــلَ ذلك تُغلــقُ بعد صلاةِ العشاءِ، وتُفتح قُبيلَ الفجرِ.

استمرَّ الحوارُ هادفاً ومُفيداً بين الجدِّ وأحفاده، إلى أن اقتربتْ ســيَّارتُهم من الحرمِ، الَّذي لاحتْ[1] أنوارُه بوضوحٍ فأشرقتْ لها وجوهُ الصِّغارِ. وهنا سألَ الجَدُّ:

- من يحفظُ شــيئاً من الأحاديثِ الَّتي وردتْ في فضل المسجدِ النبويِّ الشَّريف؟.

- نعم يا جدِّي، قال الحبيبُ ﷺ: (**لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثةِ مســاجدَ: المســجدِ الحــرامِ، ومســجدِي هــذا، والمســجدِ الأقصى**)[2].

وقال في حديث آخر: (**صلاةٌ في مســجدي هــذا بألفِ صلاةٍ فيما سِوَاه، إلَّا المسجدَ الحَرَامَ**)[3].

---

(١) لاحتْ: ظهرتْ.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.



وقال أيضاً: **(من جاءَ مســجدَنا هذا، يتعلَّمُ خيــراً أو يعلِّمه؛ فهو كالمجاهدِ في سبيل الله)**[١].

- أحسنتَ يا عمَّار، ومن منكم يحدِّثنا عن شيءٍ من آدابِ زيارةِ الحرمِ النبويِّ الشَّريفِ؟.

اندفع الإخوةُ الثَّلاثةُ في وقتٍ واحدٍ للإجابةِ عن سؤالِ جدِّهم، وكلُّ واحدٍ منهم يحاولُ أن يســبقَ إخْوَتَه بالإجابــةِ، ممَّا جعلَ الجَدَّ يضحكُ، وهو يرقبهم، فقالَ:

- مهلاً مهلاً، لدى الجميعِ فرصتُه الكاملةُ للكلامِ، تفضَّل فابدأ أنت يا عامر.

أخذ عامرٌ يستذكرُ ما في ذهنه من آدابٍ يجبُ على المسلمِ أن يتحلَّى بها أثناءَ دخولِ الحَرَمِ:

- أولاً، ينبغي للمُســلم أن يدخل المكانَ الطَّاهِــرَ، وقد تهيَّأ له بالوضوءِ ولبــسِ الثِّيابِ النَّظيفــةِ، وأن يحافــظَ على طهارةِ المكانِ ونظافتِهِ.

- أحسنتَ يا عامر، وأعلِّقُ على كلامِك هذا بالحديثِ الشَّريفِ الَّذي قصَّ لنــا قصَّةَ المــرأةِ الَّتي كانت تلقــط القَذى من مسجدِ رســولِ الله ﷺ، فلمَّا ماتت رآها الرَّسول الكريم في

---

(١) رواه الحاكم.



الجنَّــة[١]، وكلمة القَذى يا أحبابي تعني الأوســاخ. تابع ما عندك يا عامر.

- ويجبُ أن تظهــرَ على مَن يدخلُ المســجدَ أيضــاً ملامحُ الخشــوعِ والتأدُّبِ والوَقارِ[٢]، وأن يقدِّم رجلَــه اليُمنى عند الدُّخولِ، ويدعو الدُّعاءَ المأثورَ عن النبيِّ ﷺ، وهو: **(بســم الله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، اللَّهمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتك)**[٣].

- أحسنتَ يا بُني، هاتِ ما عندَك يا عماد.

- وعلى المســلمِ ألَّا يرفــعَ صوتَه في المســجدِ، محافظةً على حُرمــةِ المَكان، ولكيلا يُفســدَ على المصلِّين خشــوعَهم في صلاتِهم ومن المأثور أيضاً: ألَّا يجلــسَ في مكانه قبلَ صلاةِ ركعتين، سُنَّة تحيةِ المَسْجِدِ.

- هل أضيفُ يا جدِّي؟.

- بالطَّبع يا عزيزي عمَّار، تفضَّلْ.

- وعلى المصلِّي تجنُّب أكلِ الثُّوم والبصــلِ، وكلِّ ما له رائحةٌ كريهة، وذلك حتَّى لا يُؤذِيَ إخوانَه المُصَلِّين.

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) **الوقار**: الهدوء والسكينة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة.



ـ بارك الله بكــم جميعاً يا أبنائي، وأختــم كلامَكم الثَّمينَ هذا، **باتباع السُّنَّةِ بســلامِ زائرِ الحرمِ الشَّريفِ على رسولِ الله ﷺ، وعلى صاحبَيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثمّ اســتقبال القبلة، ودعاء الله وسؤاله ما شاء من خير الدُّنيا والآخرة**، والآن هيَّا بنا ندخل من بابِ السَّلامِ.

دخلَ الأطفالُ وجدُّهم إلى الحَرَم بسكينةٍ ووقارٍ، وقد حرصوا على الحفاظِ على الهدوءِ والنِّظامِ، واتَّجهوا مباشرةً إلى الرَّوضةِ الشَّريفةِ لأداءِ سُنَّةِ تحيةِ المَسْجِدِ.

قال عامر معلِّقاً حولَ المكان بصوتٍ خافتٍ:

ـ أذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ يقول فيه: **(ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّــة)**[١]، وهانحن الآنَ يا إخوتي نقفُ في هــذه الرَّوضةِ الشَّــريفةِ، وهاهــو قبره عليه الصلاة والسلام، وإلــى جانبه قبر صاحبَيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذا هو محرابه ومنبره، هل هذا صحيحٌ يا جَدِّي؟.

ـ أحسنتَ يا بُنيَّ. الرَّوضةُ الشَّريفةُ هي المكانُ الَّذي يقعُ بينَ بيتِ النبيِّ ﷺ ومنبرِه الشَّــريفِ، وتضمُّ هذه الرُّوضــةُ محرابَ النَّبيِّ الكريم ومنبره، وتوضِّحُ حدودَها تلك الأعمــدةُ الحجريةُ الَّتي تَرَوْنَها أمامَكم، وتضمُّ الرَّوضةُ الشَّريفةُ أيضاً بعضَ الأساطين.

---

(١) رواه أحمد





- ما معنى الأساطين يا جَدِّي؟.

- **الأســاطينُ**: جمع أسـطوانة، وهي العمودُ الكبيـرُ، ومنها: **أسطوانةُ السَّـيِّدةِ عائشــةَ، وأسـطوانةُ الوفودِ**، وعندها كانَ رســولُ الله ﷺ يجتمعُ مع ضيوفِـه الَّذين يَقْدمـون إليه من خارجِ المدينةِ، **وأسـطوانةُ التَّوبةِ** الَّتي لهـا قِصَّةٌ تذكرُها لنا كتبُ التَّاريخِ.

سألَ عمار:

- وما قصَّتُها يا جَدِّي؟.

- شــاركَ صحابــيٌّ اسـمه **أبو لُبابة بــن عبدالمنــذر**، مـع رســولِ الله ﷺ في غزوةِ بني قُريظة، وقد أخطأ رضي الله عنه في ذلك اليوم، إذ تسـرَّعَ وأعطى اليهودَ معلومةً دون أن يسـتأذنَ من الرَّســولِ عليه الصلاة والسلام، وســرعانَ ما شــعرَ الصحابيُّ الجليلُ بخطئه العظيمِ، فســارعَ فربطَ نفسَــه إلى هذا العمــودِ، اعترافاً منه بذنبِــه، ورفضَ أن يفكَّ أحــدٌ وَثَاقَه، حتَّى يتــوبَ الله عليه، فأنزل اللهُ توبتَه عليه، وأطلقه الرَّســولُ الكريمُ بيدِه الشَّريفةِ، وهو يدعو له بالرَّحمةِ والمغفرةِ، وقد سُمِّي هذا العمودُ بعد تلك الحادثةِ بأسطوانةِ التَّوبةِ.

أخذ الصِّغار يتجوَّلون بهدوءٍ في أرجــاءِ الحَرَم، وقد أُعجبوا بنظافتهِ الظَّاهرةِ، ولفَـتَ انتباهَهم نمــطُ العمارةِ العُثمانيَّةِ الفريدُ، ثم اتَّجهوا نحوَ التَّوْسِعةِ الحديثةِ التي أحاطتْ بالحرمِ القديمِ من



ثلاثِ جهاتٍ. وفي هذه الأثناء ارتفعَ صوتُ الأذانِ العَذْبِ معْلناً دخولَ وقتِ صلاةِ الظُّهرِ.

بعد قليلٍ، وقف الصِّغار مع جموع المُصَلِّين وقد توجَّهوا نحوَ القبلة، وصلَّوا خلف الإمامِ بخشوعٍ، وعندما فرغوا من صلاتِهم، اقترحَ عليهم جدُّهم قراءةَ شـيءٍ من القُـرآنِ الكريمِ قبل مُغادرةِ المكانِ، فجلسَ الجميعُ وقد أمسكَ كلٌّ منهم بمصحفٍ، تلا منه ما تيسَّرَ من آياتِ الذِّكرِ الحكيمِ.

* * *





إلى بَقِيع الغَرْقَد

خرجَ الجَدُّ وأصدقاؤنا الثَّلاثةُ من بابِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم في قمَّةِ سعادتِهم ونشاطِهم، فقد زادَ رصيدُهم من المعلوماتِ الهامَّةِ حولَ حرمِ رسولِ الله ﷺ، واستمرَّ حوارُهم المفيدُ مع جدِّهم، الَّذي أخذَ يجيبُ عن أسئلتهم الذَّكيَّة.

- عندما سمعنا أذان الظُّهر قبل قليل يا أحِبَّائي، تذكرتُ قصةً جميلةً حول **بداية الأذان في الإسلام**، فأحببتُ أن أرويَها على مسامعكم.

- وهل للأذان قصَّة يا جدِّي؟.

- نعم يا عمَّار. لقد اهتمَّ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بأداءِ صلاةِ الجماعةِ، عندما قدِموا إلى المدينةِ، وقاموا ببناءِ هذا المسجدِ الشَّريفِ، وكان إذا جاءَ وقتُ الصَّلاةِ، يصعدُ أحدُ الصَّحابةِ إلى ظهر المسجدِ، فيشيرُ بيده إلى النَّاسِ، ليُعْلمهم بدخولِ وقتِ الصَّلاةِ للقدومِ للمسجدِ، فمن رآه من النَّاسِ جاء المسجدَ فصلَّى، ومن لم يره لم يعلمْ بتلك الصَّلاة.

سكت الجَدُّ ثمَّ تابع:

- واقترحَ بعضُ الصَّحابةِ على رسولِهم الكريمِ، نصبَ رايةٍ عندَ دخولِ وقتِ الصَّلاةِ، فلم تُعْجِبْه الفكرةُ، واقترحَ بعضُهم استخدامَ البُوقِ أو النَّاقوسِ، فرفض ذلك، لأنّ فيه تشبّهاً باليهود والنصارى.
- ماذا تقصد بالناقوس يا جَدِّي؟.
- إنَّه يا عماد أداةٌ كبيرةٌ تُشبهُ الجرسَ، ويصدر عنها صوتٌ مرتفعٌ.

وكان ممَّن حضرَ ذلك النِّقاشَ، صحابيٌّ اسمه **عبدُ الله بن زَيْد**، فذهبَ إلى بيتهِ وهو يفكِّرُ بالأمرِ، وأخذَ يُحاولُ أن يجدَ طريقةً مُناسبةً لإعلانِ دخولِ وقتِ الصَّلاةِ، وعندما نامَ، شاهدَ في منامِه أنَّ شخصاً صعدَ إلى ظهرِ المسجدِ، وأخذ ينادي بصوتٍ عذبٍ:

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر

أشهد ألَّا إلَهَ إلَّا الله، أشهد ألَّا إلَهَ إلَّا الله

أشهد أنَّ محمَّداً رسولُ الله، أشهد أنَّ محمَّداً رسولُ الله

حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الصَّلاة

حيَّ على الفَلاح، حيَّ على الفَلاح

الله أكبر الله أكبر

لا إلَهَ إلَّا الله

فاستيقظ الصَّحابيُّ مستبشراً، وسارع إلى النَّبيِّ ﷺ ليقصَّ



عليه ما رآه في منامِهِ، فسُرَّ الرَّسولُ الكريمُ بهذا كثيراً، وأعجبه الأمرُ، فأشارَ إلى عبدِالله بأن يُعلِّم بلالاً تلك الكلماتِ، وكان بلالٌ معروفاً بصوتِهِ الجميلِ.

تابع الجدُّ حديثَه:

- وأخذتْ شوارعُ المدينةِ يا أحبابي، تسمعُ كلماتِ الأذانِ العذبةَ بصوتِ بلالِ بن رباحٍ مؤذِّنِ الرَّسولِ الكريمِ، خمسَ مرَّاتٍ في اليومِ واللَّيلةِ، وأخذ الصَّحابةُ يستجيبون لأمرِ الله تعالى، ويُسارِعونَ إلى المسجدِ لأداءِ صلاةِ الجماعةِ خلفَ نبيِّهم الحبيبِ، واستمرَّ المسلمونَ بعدها في مشارق الأرض ومغاربها، يُعلنون عن دخول وقت الصَّلاة بهذه الكلمات الخالدة.



- يا لها من قصَّةٍ جميلةٍ يا جدِّي.
- والآن، انظروا يا أبنائي إلى تلك القُبّـةِ الجميلةِ هناك.
- أعتقدُ أنَّها القُبَّـةُ الخضراءُ يا جَدِّي.
- أحسنتَ يا عمار، هذا صحيح، إنَّها أول قُبَّـة بُنيتْ للحرم الشَّريف، وهي كما تُلاحظونَ تعلُو الحُجْرة النبويَّة.

- ومن الَّذي بناها يا جَدِّي؟.
- لقد بُنيتْ يا عامر في عهد **السُّلطانِ المملوكيِّ قلاون** سنة (٦٧٨) للهجرة، وتلا ذلك عملياتُ إضافة القِبابِ الأخرى، وتمَّ في عهد **السُّلطان العثمانيِّ عبد المجيد**، تغطيةُ كامل سقف الحرم، بقِباب صغيرة، تمَّ إكساؤها بألواحٍ من الرَّصاصِ.
- وما سرُّ تسميتِها بالقُبَّةِ الخضراءِ يا جَدِّي؟.
- لقد جدَّدَ السُّلطانُ العثمانيُّ محمود الثاني بناءَ هذه القبةِ في سنة (١٢٢٨) للهجرة، واختارَ أن يتمَّ طلاؤها باللَّونِ الأخضرِ، وبقي اللَّونُ على ما هو عليه حتَّى الآن، ومنذ ذلك الوقتِ عُرفتْ القُبَّة بهذا الاسم حتَّى الآن.

القبة الخضراء

تابع الجدُّ وأصدقاؤنا سَيْرَهم، وبعد قليلٍ شاهدوا محلَّاتٍ فاخرةً لبيعِ التُّمورِ، فقال الجَدُّ:

- اشتهرتِ المدينةُ يا أبنائي منذ قديمِ الزَّمانِ، بزراعةِ النَّخيلِ وإنتاجِ أجودِ أنواعِ التُّمورِ، وقدِ استمرَّتْ عنايةُ أهلها بذلك حتَّى يومنا هذا، وفي المدينةِ أكثرُ من مئةِ نوعٍ من التُّمورِ، ومن أشهرِها تمرُ العجوةِ، الَّذي اكتسبَ شُهْرتَه من الأحاديث الشَّريفةِ التي تحدَّثَتْ عنه، ومن ذلك قولُه ﷺ: **(من تصبَّحَ كلَّ يومٍ سبعَ تمراتٍ عجوة؛ لم يضرَّه في ذلك اليومِ سمٌّ ولا سِحْرٌ)**[1]. وقد كان التَّمرُ وما يزال غذاءً رئيساً لأهلِ المدينةِ منذ قديمِ الزَّمنِ، وكان طعاماً لفقرائهم، وحلوى لأغنيائهم، وزاداً لمسافريهم.

بعد قليل، شاهد صغارنا سوراً عالياً حديثَ البناءِ يُحيطُ بأرضٍ كبيرةٍ، فسأل الجَدُّ:

- من منكم يعرف هذا البناءَ أيُّها الصِّغار الأعزَّاء؟.
- هل هو بقيعُ الغرقدِ يا جَدِّي؟.
- أحسنتَ يا عماد، لكن كيف عرفتَه؟.
- لقد قرأتُ عنه في كتابِ التَّاريخِ، وسمعتُ أوصافَ بنائه الحديثة، فتوقَّعتُ أن يكونَ هو.

---

(١) متفق عليه.



- بارك الله فيك يا ولـدي. والآن اقرأ علينا مـن كتابِك ما ذُكِرَ حولَ البقيعِ من معلوماتٍ مفيدةٍ.

كان الإخـوة في هـذه الأثناء قد وصلـوا إلى سُـورِ البقيعِ، فسارعوا إلى السَّـلامِ على أهلِهِ ممَّن دُفنوا فيه، وذكروا الحديثَ الواردَ في السُّـنَّةِ عنـدَ زيارةِ البقيع: (**السَّـلام عليكـم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون**)[1].

- **البقيع** كلمة تعني في اللُّغة: الأرض الخالية من الحجارة، أمَّا **الغرقـد** فهو نوعٌ من الأشـجارِ الشَّـوكيةِ الَّتـي تنبتُ بهذه الأرضِ، وأُطلق هذا الاسـمُ فيمـا بعدُ على مقبـرةِ المدينةِ المنوَّرةِ، التي تقعُ شرقَ المسجدِ النبويِّ الشَّريفِ، وهو مدفنُ أهل المدينـة وضواحيها، منذ عهد الرَّسـولِ ﷺ حتَّى الآن، وقد دُفن تحتَ ترابه آلافُ الصَّحابَـةِ والتَّابعينَ والصَّالحينَ، رضي الله عنهم أجمعين.

تابع عماد قراءتَه:

- وقد كان عليه الصلاة والسلام كثيرَ التردُّد إلى البقيع، ودائمَ الاسـتغفار لأهله والدُّعاء لهم. وقد توالتْ تَوْسِـعاتُ البقيع على مـرِّ التَّاريخِ الإسلاميِّ، وذلك لزيادةِ عددِ سـكَّانِ المدينةِ وضواحيها، إلى أن وصلتْ مسـاحتُه الإجماليةُ الآن إلى أكثر من (١٨٠) ألف متر مربَّع، وقد بُني حوله سورٌ مرتفع تمَّ إكساؤه بالرخام.

---

(١) رواه مسلم.




مقبرة البقيع إلى جوار المسجد النبوي

- بارك الله بك يا عماد. والآن اقرأ لنا يا عامر، بعضاً من أسماء مَن دُفنوا بالبقيع.

- نعم يا جدِّي. ظلَّتْ قبورُ بعض الصَّحابة ممَّن دُفنوا بالبقيع معروفةً حتى الآن، ومنها: قبرُ **العبَّاس** عمِّ رسولِ الله ﷺ، وقبور **بناته**[1] عليهن الصلاة والسلام، وقبر **عقيل بن أبي طالب، والحسن بن علي، وعثمان بن مظعون** وهو أول مهاجر يموتُ ويُدفن بالبقيع، وكذلك قبر **عبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفَّان، وسعد بن أبي وقَّاص، وأبي سعيد الخدريِّ، وسعد بن معاذ، وأسعد بن زرارة، وصفيَّة عمَّة رسول الله** ﷺ، **وحليمة**

(١) **بنات الرسول** ﷺ: فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم.

السَّــعدية مُرضعة نبيِّنا ﷺ، وقبور **أمَّهــات المؤمنين**، وولده **إبراهيــم**، ومِن التَّابعيــن الذين دُفنوا به أيضــاً: **الإمام مالك وشيخه نافع**، رضي الله عنهم أجمعين.

- قبل أن نُنهي حديثَنا يــا أحِبَّائي حولَ مقبرةِ البقيع، أودُّ أن أنبِّهكم علــى بعض الأخطــاء التي تخــصُّ المقابرَ، وقد تصــدرُ عن بعــضِ المســلمينَ هَداهُــمُ الله. أوّلاً، لعلَّكم تُلاحظونَ أمامَكم أنَّ قبورَ البقيعِ مســتويةٌ ليسَ فوقَها أيُّ بناءٍ، وهــذا هو الهَدْيُ النبويُّ الَّــذي أُمِرْنا به، وفي بعضِ الدُّولِ الإســلاميةِ يبني بعضُهم فوقَ قبورِ أهلِهِ بنياناً كبيراً يُبالغُ في زخرفته وتزيينه، وهذا ممَّا نَهانا عنه الرَّســولُ ﷺ وحذَّرَ منه.

وَمِنَ الأخطاءِ الكبيرةِ الأخْرى: ما نــراه في بعضِ الدُّولِ من تصرُّفاتٍ غريبةٍ يفعلُها بعضُهم جَهلاً منهم بخطرِ ما يقومونَ به، فبعضُهم يطوفُ حولَ القبورِ، وبعضُهم الآخرُ يَذبحُ نذورَه ويقدِّمهــا لها والعياذُ بــالله، وبعضهم يُبالغُ كثيــراً في إظهارِ حُزنِهِ، ويرفعُ صوتَه ببكائِهِ على الميِّتِ.

ومن نِعَــمِ اللهِ علينا يــا أحِبَّائي، أنَّنا لا نلاحِــظُ مثلَ هذه المناظِــرِ المُؤذيــةِ حولَ مقبــرةِ البَقيعِ، بــل إنَّ هناك من الموظَّفينَ مَن يشــرحُ لزائرِ البقيعِ الطَّريقةَ الشَّــرعيَّةَ لهذه



الزِّيارةِ، ويُقَدِّمُ النَّصيحةَ له عندَ الحاجةِ، ويُجيبُ عن أسئلته واستفساره.

أنهى الصِّغارُ حديثَهم ونقاشَهم فيما يتعلَّقُ بمقبرةِ البقيعِ، واتَّجَهوا نحوَ سيَّارتِهم، الَّتي قادَها الجدُّ نحوَ المنزلِ مروراً بشارعِ السِّتين.

قال الجَدُّ بعد قليلٍ:

- والآن انظروا يا أحبابي أمامَكم إلى هذا المسجدِ الجميلِ.
- هل هو مسجدٌ أثريٌّ يا جدِّي؟.
- نعم يا عمَّار. إنَّه **مسجدُ الإجابة**.
- وما قِصَّتُه يا جَدِّي؟.
- يقع مسجدُ الإجابةِ شمالَ شرقِ البقيعِ، وتذكُرُ كتبُ التَّاريخِ أنَّه بُني على أرضِ بَني معاويةَ بنِ مالكٍ الأوسيِّ، ويُذكَر أنَّ رسولَ الله ﷺ أقبل ذاتَ يومٍ فصلَّى فيه ركعتين، ثمَّ دعا ربَّه دعاءً طويلاً خصَّ به أُمَّتَهُ، فاستجابَ الله تعالى هذا الدُّعاءَ الكريمَ، ممَّا جعل الصَّحابةَ يُسَمُّون المكانَ الشَّريفَ باسم مسجدِ الإجابةِ.

تابع الجَدُّ كلامَهُ:

- وكما ترونَ أمامَكم يا أولادي، فقد اهتمَّ المسلمونَ ببناءِ هذا المسجدِ وتَوْسِعَتِهِ عبرَ التَّاريخِ، لإيمانِهم بأهمِّيَّةِ المكانِ





مسجد الإجابة

وبرَكَتِــهِ، وممَّنْ أمَــرَ بتجديدِ بنائِــهِ أميرُ المؤمنيــنَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز، وتمَّتْ تَوْسِعَتُه بعد ذلك عدَّةَ مراتٍ، إلى أن وصل إلى صورتِهِ الحديثةِ في عهدِنا الحَالي.

بعد ذلك تابعتْ سيَّارةُ الجَدِّ مسيرَها نحو المنزل.

- لقد انتهــتْ محطَّتُكم الأولى فــي هذه الرِّحلــةِ أيُّها الأبناءُ الأعــزَّاءُ، والآن هيَّا بنــا إلى المنــزلِ لتتناوَلــوا طعامَكم، ولتأخُذوا قسطاً مِنَ الرَّاحةِ، فقد كان يومُكم حافلاً[1] ومُتْعِباً.

---

(١) حافلاً: مليئاً بالفائدة.



ماذا تتوقَّعونَ أن يكونَ طعامُنا اليوم؟ تُرى هل انتهتْ جدَّتُكم من إعداده؟.

- أرجو ذلك يا جَدِّي، فمعدتي تصرخُ من شدَّة الجوعِ.

ضحكَ الجَدُّ كثيراً، وقال:

- دعونا إذن نسرع حتَّى نأكلَ، ونُسْكِتَ صراخَ معدتِكَ يا عمَّار.

* * *





إلى مسجدِ قُباء

في صباح اليوم التَّالي، استيقظَ الأطفالُ بنشاطٍ واضحٍ، وحيَّوا جَدَّهم وجدَّتَهم، ثمَّ تناولوا طعامَ الإفطارِ، واستعدُّوا للخروجِ من المنزلِ.

سأل عمَّار:

ـ أين ستكونُ وجهتنا اليومَ يا جدِّي؟.

ـ سنتَّجهُ لزيارةِ مسجدِ قُباء بإذن الله.

سارع الصِّغارُ فركبوا سيارةَ الجدِّ، الَّذي توجَّه بهم عبرَ شوارعِ المدينةِ الواسعةِ، نحو حيِّ قُباءٍ الَّذي اكتسبَ اسمَه من اسمِ ذلك المسجدِ المباركِ.

ـ من يحدِّثنا منكم عن مسجدِ قُباءٍ؟.

قال الإخوةُ الثَّلاثةُ في وقتٍ واحدٍ:

ـ إنَّه أوَّلُ مسجدٍ بُني في الإسْلام.

ثمَّ تداخَلَتْ أصواتُهُمْ، وكلٌّ منهم يرغبُ في تقديمِ ما لديه من معلوماتٍ.



قال الجدُّ متبسِّماً:

- حسناً حسناً، فلتبدأْ أنتَ يا عامر.

- تقع منطقة قُباءٍ في الجنوبِ الغربيِّ للمدينةِ المنوَّرةِ، وهي أوَّلُ مكانٍ سكنه المهاجرونَ لمَّا قَدِموا من مَكَّةَ نحوَ المدينةِ، فقد كانوا يَحلُّون ضيوفاً على إخوانهم من الأنصارِ الَّذين يسكنونَ في منطقةِ قباءٍ.

- أحسنتَ يا عامر، وأضيفُ إلى كلامِك ما وقعَ من أحداثٍ سبقتْ وصولَ الرَّسولِ ﷺ إلى المدينةِ، إذ كان أهلُ المدينةِ يَخْرجونَ كلَّ يوم إلى قباء، ينتظرون قدوم ضيفهم الكريم مع صاحبه أبي بكر الصِّدِّيق، ولا يُرجعهم إلا حرارةُ الشمس، وذات يوم لاحظ أحدُ يهود قُباء حين كان على سطح أحدِ الحصونِ، وصولَ الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام وصاحبِهِ، فسارعَ وأعْلَمَ أهلَ قُباءٍ بذلك الخبرِ السَّارِّ.

أخذ الجدُّ يُتابع سردَ قصَّته الَّتي تركتْ أثراً واضحاً في نفوسِ الصِّغارِ:

- وفي مشارف قُباء، خرج أهلُها الطَّيِّبون عن بكْرَةِ أبيهم(١) لاستقبالِ ضيفِهم العزيزِ الَّذي طال انتظارُهم له، فامتلأتِ الطُّرقاتُ والأزِقَّةُ بهم، ووقفَ نساءُ البلدةِ وأطفالُها على سطوحِ المنازِل، وهم يكبِّرون اللهَ ويشكرونَه على ما أنعمَ عليهم من قُدوم الرَّسولِ المنتظرِ، وبعد قليل بدأ حفلُ

(١) خرجوا عن بكرة أبيهم: أي خرجوا جميعهم.

التَّرحيب الَّذي تذكره لنا الرِّواياتُ، بإنشادِ نشيدٍ جميلٍ يحفظه المسلمونَ ويردِّدونَه في مُناسباتِهم السَّعيدةِ.

ـ هل تقصدُ نشيدَ (طلعَ البدرُ علينا) يا جدِّي؟.

ـ أحسـنتَ يا عماد. ما رأيُكم أن ننشـدَه معاً، ونتخيَّلَ الأنصارَ وقد أحاطوا بأكرمِ ضيفٍ حلَّ في بلادِهم؟.

وبصوتٍ جميلٍ انضمَّ الجدُّ إلى أحفادِه وهم ينشدونَ:

طـلـعَ البـــدرُ علينــا   مــن ثـنـيَّــاتِ الــوَدَاعْ
وجَـــبَ الـشُّـكـرُ علينا   مـــا دعـــا لله داعْ
أيُّـهـا الـمـبـعـوثُ فينـا   جـئـتَ بـالأمـرِ الـمُـطـاعْ
جئـــتَ شَرَّفْـــتَ المدينـة   مَـرْحـبـاً يـا خَـيْــرَ داعْ



تابع عامر الحديثَ فأضافَ:

- وعندمـا وصلَ رسـولُ الله ﷺ إلـى المدينة قادماً مـن مكَّةَ، اسـتقبله أهلُ قباءٍ خيرَ اسـتقبالٍ، ونزلَ بها في دار الصَّحابيِّ كلثوم بـن الهـدم رضي الله عنه، وبدأ بعدهـا بوضعِ حجرِ الأسـاسِ لمسجدِ قُباء، وكان أوَّلَ مسجدٍ يُبنى في الإسلامِ، وأوَّلَ مسجدٍ يصلِّي فيه النبيُّ عليه الصلاة والسلام بأصحابه صلاةَ الجماعةِ جهراً.
- أحسـنتَ يا بُني، لكن عندي هنا سؤال: هل تعلمُ يا عماد إلى أيِّ جهةٍ كان المسلمونَ يصلُّون في قُباء؟.
- نعم يا جـدّي، كانت قبلتُهـم حينها إلى بيـتِ المقدسِ في فلسطين.
- هذا صحيحٌ، لقد صلَّى المسلمون في قُباء كما فعلوا في الحرمِ النبويِّ الشَّريفِ نحو بيت المَقْدِسِ ما يقربُ من سنة ونصف، ثم نزل الأمرُ بتحويلِ القبلةِ، وغداً بإذنِ الله سـنزورُ **مسـجد القِبلتين**، وسأروي لكم حينها قصَّةَ تحوُّل القِبلة نحو بيت الله الحرام في مكة المكرَّمة.

أكمِلْ يا عماد ما لديكم من معلوماتٍ حولَ مسجدِ قُباء.

- لقد شاركَ رسولُ الله ﷺ بنفسـه في بناءِ هذا المسجدِ، وحَمَلَ الحجارةَ، وساهَم في باقي الأعمال يداً بيدٍ مع صحابته رضي الله عنهم.
- أحسـنتَ يا ولدي، وأزيدُكم هنا أنَّ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام قال حينها: (**يا أهـل قُباء، ائتوني بأحجارٍ من هذه الحـرَّة**) فأخذ في بناء



مسجد قباء، وكان أوَّل حجر وُضع فيه هو حجره صلوات الله وسلامه عليه[١].

- هنا يا أحبائي الصِّغار، تضربُ لنا مُعَاونَةُ الرَّسولِ ﷺ لأصحابِهِ مثلاً حيّاً، على أهمِّية مشاركةِ القائدِ وتعاونِهِ مع أصحابِهِ في بناءِ المجتمعِ وما شابهه من أعمالِ البرِّ والتَّقوى، كما يتَّضح من ذلك أيضاً ما تحلَّى به الرَّسول الكريم من خلق التَّواضع والرحمة، فهو لم يتأخَّر لحظة عن مشاركة أصحابه في جميع أعمالهم، فنراه يبني المسجدَ بمساعدتهم، ويجاهدُ معهم فيما بعدُ في المعارك والغزوات، ولا يتردَّد لحظةً واحدةً في تقديم يدِ العونِ والمساعدة، إن احتاج لذلك أحدٌ من أفرادِ المجتمعِ المسلمِ الجديدِ.

والآن دورك يا عمَّار، حدِّثنا عن شيء من فضل مسجد قباء.

- لقد ورد ذكرُ هذا المسجد في القرآن الكريم، فقد أثنى عليه الله تعالى بقوله: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقد ورد أنَّ النبيَّ ﷺ، كان يزور قباء يوم السَّبت، فيأتيه راكباً أو ماشياً ويصلِّي فيه، وعنه ﷺ قال في الحديث المعروف: **(من تطهَّر في بيته، ثم أتى مسجدَ قُباء فصلَّى فيه؛ كان له أجر عُمرة)**[٢].

(١) رواه الهيثمي.

(٢) رواه الطبراني.



وقال في حديث آخر: (**الصَّلاة في مسجدِ قُباء كعمرة**)[1].

- هل استمرَّت الصَّلاة في مسجدِ قُباء بعد بناء الحرم النبويِّ الشَّريف يا جَدِّي؟.

- نعم يا عامر، لقد كان أهلُ قُباء ومن جاورهم يحرصون على أداء الصَّلوات الخمس جماعة في ذلك المسجد، وقد عيَّنَ رسولُ الله ﷺ صاحبَهُ معاذَ بنَ جبل رضي الله عنه ليكون إماماً عليهم، وقد أخبرنا عمَّار قبل قليل: أنَّ الرَّسول عليه الصلاة والسلام كان يزور قباء كلَّ سبت، وهذا يعني أنَّ علاقته لم تنتهِ مع هذا المسجد الكريم بعد استقراره بالمدينة.

- وهل تمَّ تجديد بناء المسجد يا جَدِّي عبر العصور الإسلامية، كما حدث في الحرم الشَّريف؟.

- هذا سؤال مهمٌّ يا عماد. نعم، فقد اهتمَّ المسلمون بمسجد قُباء لِما عَرفوا من مكانته الرفيعة وفضله في الإسلام، وورد في الآثار والرِّوايات: أنَّ عمر وعثمان رضي الله عنهما قاما بتجديد بناء هذا المسجد، وزادا في مساحته، وشجّعهما على ذلك زيادة أعداد المسلمين سنة بعد أخرى.

وفي عهد الحُكم الأمويِّ، جَدَّد المسجدَ عمرُ بن عبدالعزيز رحمه الله، أيام ولايته على المدينة، فوسَّعه من الشمال، وبنى له مئذنةً.

(١) رواه الترمذي.



وجُدِّد مسجدُ قُباء أيضاً عدَّة مرات في عهد الدَّولة العثمانية، على يد السُّلطان محمود الثاني والسُّلطان عبد المجيد، وأخيراً فقد شهد المسجدُ أكبرَ توسعة في تاريخه في العهد السعوديِّ الزَّاهر.

- هل أقرأ عليكم يا جدِّي بعضَ البيانات الخاصَّة بمسجد قُباء الحديث الَّذي نراه الآن؟.

- بالطَّبع، هاتِ ما عندك يا عامر.

- وصلتْ مساحةُ مسجدِ قُباء بعد توسعته الأخيرة إلى (٨٧٩٥) متر مربع، ويتَّسع بذلك إلى أكثر من عشرة آلاف مُصَلٍّ، ويتضاعف هذا العددُ باستخدام ساحات المسجد الخارجية، التي تمَّ إعدادها لاستقبال المزيد من أعداد المُصَلِّين.

وقد استخدم في بناء مسجد قُباء: الطُّوب المُقَوَّى والرخام والزُّجاج الملوَّن، وعلى سطحه ستٌّ وخمسون قبَّة صغيرة، وستُّ قباب كبيرة، وله أربع مآذن طويلة، وغُطِّيَتْ أرض صحنه المكشوف بأحجار الجرانيت المُزَخْرفة، وصُنعتْ أبوابه من أجود أنواع الأخشاب، وقد جُهِّز المسجدُ بنظام تكييفٍ وإنارةٍ حديثَين، كما زُوِّد بعددٍ كبيرٍ من المواضئ ودورات المياه، الَّتي تمَّ بناؤُها وفق أنظمة هندسية حديثة.

سكت عامر قليلاً ثمّ تابع باهتمام قراءة كتابه:

- واستُخْدم في عمليات البناء تلك، أكثرُ من ثلاثة ملايين طوبة بأحجام مختلفة، وأكثر من ستة آلاف متر مربع من الرخام، وألف طن من أعمدة الحديد، وتشرَّف بالمشاركة في أعمال بناء هذا المسجد المبارك أكثر من ثمانمئة عامل.

استمرَّ الحوار الهادف إلى أن قال الجَدُّ:

- والآن يا أبنائي هيَّا بنا نصلِّي ركعتين، فننال بهما ثواب أداء العمرة إن شاء الله.



مسجد قباء



دخل الإخوةُ إلى مسجد قُباء مع جدِّهم، ولفتَ انتباهَهم نظامُ بنائه الحديث، ونظافتُه الظَّاهرة، وسعة المكان من الدَّاخل، وبعد قليلٍ أذَّن المؤذِّن لصلاة العصر، فانضمَّ أصدقاؤنا إلى جُموع المصلِّين الذين وقفوا بخشوع خلف الإمام لأداء الصَّلاة المكتوبة[(١)].

غادر الجدُّ وأحفاده الثلاثة مسجدَ قُباء، واستقلُّوا السَّيارة التي قادها الجدُّ باتجاه شارعِ قُباء.

- والآن انظروا يا أحبابي إلى هذا المسجد الجميل الَّذي يقع أمامكم مباشرة.

- هل هو مَعْلم آخر من معالم المدينة يا جدِّي؟.

- نعم يا عمَّار. إنَّه مسجد الجمعة الذي تُطلق عليه بعض مراجع التاريخ اسم مسجد الوادي أو مسجد عاتكة، ويقع شمال مسجد قُباء.

- وما علاقة هذا المسجد بتاريخ المدينة يا جَدِّي؟.

- تذكُرُ الرواياتُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ وأصحابه، عندما غادروا قُباء متَّجِهين نحو المدينة المنورة، أدركتْهم صلاةُ الجمعةِ في وادي القبيب، بالقرب من ديار بني عوف، فأمر

(١) **الصَّلاة المكتوبة:** الصَّلاة التي فرضها الله.



مسجد الجمعة كما يبدو بعد التَّوْسِعة الحديثة

الرسـول الكريـم أصحابـه بالتوقُّف عنـده لأداء صلاة الجمعـة، وكانـت أول صـلاة جمعة تقام بعـد الهجرة المباركة.

- وبعدها إذن أُطلق اسم مسجد الجمعة على هذا المصلَّى.



- هذا صحيح يــا عامر، وقــد أعطتْ صلاةُ الرَّســول ﷺ لهذا المكانِ مزيَّةً خاصةً، جعلتْ المســلمين يهتمُّــون به على مرِّ التَّاريخ حتَّى هذه اللَّحظة.

تابع الجدُّ حديثه:

- وقد تهدَّمتْ أجــزاء كبيرة من مســجد الجُمُعــة مع مرور الزَّمــن، فجُدِّد في عهــد عمر بن عبد العزيــز، وفي العصر العباســيِّ، والعهد العثمانيِّ، إلى أن قامــت وزارة الأوقاف السُّــعودية بإعادة بنائه وتوســعته كما تــرون وفق تصميم هندســيٍّ جميــل، وقامتْ بتخصيــص ميزانيَّة كبيــرة لهذا الغرض، فــكان أن ظهر المســجدُ أخيــراً بهــذه الصورة المشرِّفة، الَّتي تليق ببيت من بيوت الله، صلَّى به رسوله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم.

- وما الَّذي حصل بعد أن أدَّى الرَّسولُ الكريمُ وصحابتُه صلاة الجمعة في هذا المكان يا جَدِّي؟.

- نعم ســأكمل لكم أحداث ذلك اليوم التاريخيِّ العظيم. قلنا: يا أحبابي: إنَّ الرَّســول ﷺ غــادر قباء، وصلَّــى الجمعة مع أصحابه في مســجد الجمعة هذا، ثم ســارت القافلةُ المباركةُ نحو المدينــة، وكانوا يمــرُّون ببيوت الأنصــار الواقعة على الطَّريــق بين قُبــاء والمدينــة، وكان رجال الأنصــار يرحِّبون بالحبيب القادم وأصحابــه، وتمنَّى الجميع أن ينالوا شــرف



استضافتهم، وحاول الكثيرون أن يأخذوا بزمام ناقة الرَّسول الكريم وهو يقول لهم: **(دعوها فإنَّها مأمورة)**[(١)].

- وما معنى عبارة الرَّسول ﷺ هذه يا جَدِّي؟.

- لقد أراد الرَّسول الكريم، أن يوضِّح للأنصار، أنَّ ناقته ستقف في المكان الذي سوف يختاره الله تعالى له لاستقراره وبناء مسجده ومجتمعه الجديد، ولذلك فقد ترك لها الرَّسول الحبيبُ حُرِّيَّة التنقُّل في أرجاء المدينة.

- وأين استقرَّتْ ناقة الرَّسول الكريم بعد ذلك يا جدِّي؟.

- بعد أن دخل رسولُ الله ﷺ المدينةَ، واصلتْ ناقته جولتَها،



وبالقرب مـــن بيوت بني النَّجَّــار بركتِ[1] الناقــة وثبتتْ في مكانها، فســـارع حينها أبو أيُّوب الأنصاريُّ ﵁، وحمَل متاع رسول الله ﵊ ووضعه في بيته الذي استقرَّ به الضَّيفُ الكريمُ، إلى أن بنى بيته وبيوت أهله حول المسجد، كما شرحتُ لكم في قصَّة بناء المسجد النبويِّ الشَّريف.

سكت الجدُّ قليلاً فقال:

- ولســـيدنا أبي أيوب قصةٌ عظيمةٌ تذكرُها كتبُ السِّيرة، ويجبُ علينا أن نذكرَها دائمـــاً ونقفَ أمامَها بتأمُّــل، لِما تحمله من معانٍ وعِظاتٍ، تدلُّ على عظيم حبِّ الصَّحابة لرسولهم ﵊، ومدى حِرصهم على كسب رضاه.

- وما هي يا جدِّي تلك القصَّة؟.

- لمَّا نزلَ رســـولُ الله ﷺ في بيت أبي أيوب، أقـــام في الطَّابق السُّـــفليِّ للمنزل، وأقام أبو أيوب وأهله فـــي الطَّابق العلويِّ، وعندما قدِم اللَّيل شَـــعَرَ الصَّحابيُّ الكريم، أنَّه من الأفضل لو نزل هو للأسفل، وصعد الرَّسول إلى مكانه في الأعلى، وكان يقصد بذلك إظهارَ احترامه وتقديره لضيفه رسولِ الله ﷺ.

تابع الجَدُّ حديثَه:

- ولم يذقْ أبو أيُّوب ﵁ فـــي تلك اللَّيلة طعمـــاً للنَّوم، وعندما

---

(١) بركت الناقة: جلستْ واستقرّت.

أصبح الصُّبحُ، سارع إلى رسول الله ﷺ، فقال له: (يا رسول الله، ما جعلتُ اللَّيلة فيها غمضاً أنا ولا أم أيُّوب) أي إنَّنا لم ننم في تلك الليلة. فسأله الرَّسولُ الكريم عن سرِّ ذلك، فقال رضي الله عنه: (يا رسولَ الله، إنِّي أكره أن أكونَ فوقَك وتكون أسفلَ مني، وأخشى أن أتحرَّك فيتناثر عليك الغُبار، ويؤذيك تحرُّكي). وقد سُرَّ رسولُنا الكريم بما أظهره صاحبُه من مشاعر الحبِّ الصَّادق، ودعا له ولأهله بالخير. والآن هيَّا بنا يا أبنائي نعود إلى السَّيَّارة.

- لا يزال الوقتُ مبكِّراً للرُّجوع إلى المنزل، فهل هناك مكان آخر نزوره اليوم يا جَدِّي؟.

- ألا يكفي ما قُمنا بزيارته اليوم يا عماد؟.

- أرجوكَ يا جَدِّي، فنحن لم نتعبْ بعدُ، ويُمكننا أن نذهب إلى مَعْلَمٍ آخر من معالم المدينة.

- حسناً حسناً، دعونا إذن نتَّجه الآن يا أحبابي، إلى المكان الَّذي شهد أحداث معركة أحد، وهي كما تعلمون من أشهر المعارك التي شارك فيها رسولُ الله ﷺ بنفسه، جنباً إلى جنب مع صحابته رضوان الله عليهم، وسوف أُعطيكم درساً عمليّاً، تُتابعون فيه عن قُرب خُطَّة سيرِ تلك المعركة الكبيرة، وما دار فيها من أحداثٍ وجولاتٍ.

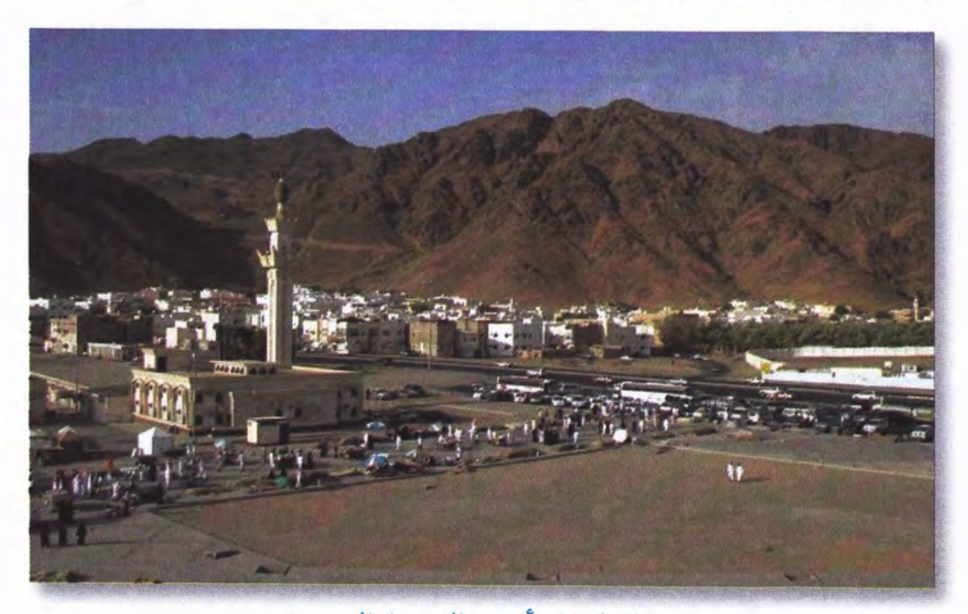
* * *





في رحابِ أُحُد

شدَّ حديثُ الجدِّ ومقدِّمتُه تلك حول غزوة أُحُد، انتباهَ أحفاده الذين أصغوا[١] إلى كلامه بانتباهٍ واضحٍ، فهذه هي المَرَّة الأولى التي سيُشاهدون فيها أرضَ المعركة، ممَّا جعلهم يتشوَّقون إلى ما سيقدِّمه جدُّهم من معلوماتٍ، وبخاصَّة أنَّه قد وعدَهم بشرح أحداثِ الغزوة قُرب أرض الحدث مباشرةً.



منظر لجبل أحد بالمدينة المنورة

(١) **أصغوا**: استمعوا بانتباه.



وما هي إلَّا دقائق حتَّى وقف الجميع أمام جبل أُحُد، فأخذوا يتأمَّلونه بإجلالٍ وإكبارٍ.

قال عمَّار:

- ما أكبرَه وما أعظمَه من جبلٍ يا جدِّي.

بدأ الجدُّ في سَرْدِ ما لديه من معلوماتٍ حول جبل أُحُد:

- يقع جبل أُحُد إلى الشَّمال من المدينة المنوَّرة، على بُعد خمسة آلاف متر تقريباً من المسجد النبويِّ الشَّريف، وهو من أكبر جبال المدينة وأشهرها، وتحيطُ به السُّهولُ والأوديةُ، ويبلغ طولُه من الشَّرق إلى الغرب أكثر من ستة كيلومترات، وله رؤوسٌ كثيرةٌ وهضباتٌ عديدة، ويمتاز بلونه الأحمر الغامق.

وقد أحبَّ الصَّحابةُ والمسلمون مِنْ بعدِهم جبلَ أُحُدٍ المبارك، لِما ورد في كُتب الحديث عن فضله، ومن ذلك ما قاله رسولُ الله ﷺ عنه: **(أحُد جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه)**[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **(أحُد ركن من أركان الجنَّة)**[2].

والآن جاء دورُكم في الحديث، هاتوا ما عندَكم من معلوماتٍ حول غزوة أُحُد.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبو يعلى.



بدأ عامر بالكلام:

- بعد أن هَزم جيشُ المسلمين كُفَّارَ قُريش يوم بدرٍ في السَّنَة الثَّانية مــن الهجرة، عادت قُــوَّات مكة ذليلــةً خائبةً، وقد فقــدتْ في بــدر الكثيرَ مــن رجالهم وأشــرافهم، فاتفقتْ قياداتُ قُريش على غزو المدينة ثــأراً وانتقاماً لقتلاهم في معركة بــدر، ومحاولة منهم لردِّ شــيء مــن كرامتهم الَّتي فقدوها، فأجمع المُشــركون أمْرَهم، وســاروا بجيش كبير تحت قيادة سيِّد مكة أبي ســفيان بن حرب، وضمَّ الجيشُ ثلاثةَ آلافِ رجلٍ ومئتي فرسٍ، وكان ذلك في شــهر شوال من السَّنَة الثَّالثة من الهجرة المباركة.

عماد:

- وخرج الرَّسول ﷺ من المدينة نحو أُحُد في ألف مقاتل، وفي الطَّريق انشــقَّ المنافقــون بقيــادة عبدالله بن أبَــي، وخذلوا المؤمنين وعادوا إلى المدينة، وقــد كانوا ثلث الجيش، فبقي بعد ذلك مع الرَّسول عليه الصلاة والسلام سبعُمئة مقاتلٍ فقط.

وتابع عماد:

- ورتَّب رســولُ الله ﷺ جيشَ المســلمين بطريقة ذكيَّة، فجعل جبلَ أُحُد يحمي مؤخَّرةَ الجيش وجانبه الأيمن، وجعل بعض الصَّحابة علــى جبل الرُّمــاة، بهدف حماية الجانب الأيســر للجيش، وقد أوصاهم الرَّسول عليه الصلاة والسلام بعدم مغادرة أماكنهم مهما

حــدث، وبذلك فقد تبقَّــتْ الناحيةُ الأماميــةُ للجيش جاهزةً لمواجهة العَدُوِّ، وتَسَلَّمَ الإشرافَ على ميمنة الجيش **المُنذرُ بن عمرو**، أما ميســرتُه فكانت تحتَ إشــرافِ **الزُّبير بن العوَّام**، وكانت خطَّةُ الحربِ تلك دقيقةً ومحكَمةً.

تدخَّل الجَدُّ بكلامه فعلَّق:

- إذن فقد دارتْ أحــداثُ المعركة يا أحبابي فــي هذا المكانِ المبارك، فهذا هو جبلُ أُحُد شامخٌ أمامَكم، وهذا بجانبه جبلُ الرُّماة الَّذي حدَّثنا عنــه عماد، وهو كما تــرون جبلٌ صغير،



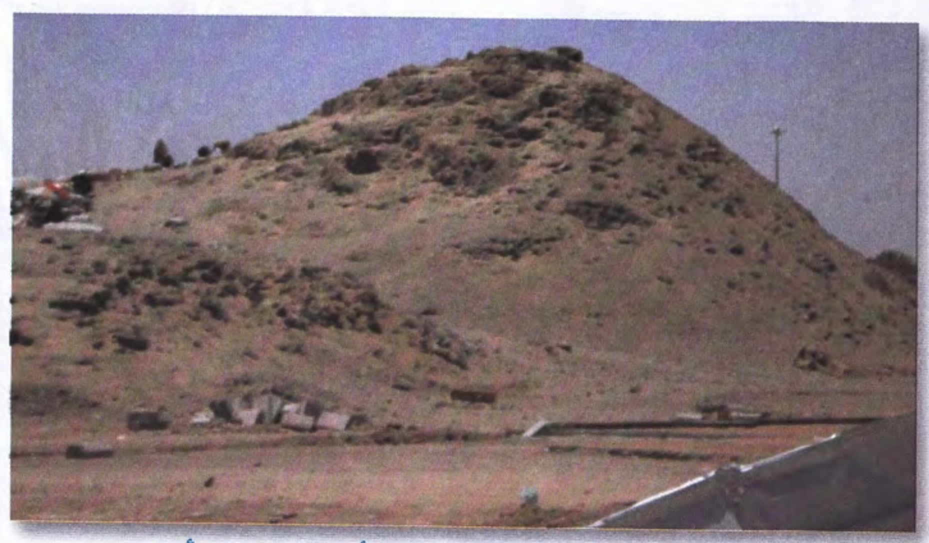
يسهُلُ تسلُّقه، ما رأيكم أن نقوم بإجراء سباق بينكم، فنرى مَن منكم سيصلُ إلى القمَّة قبل الآخرين؟.

- لا بأسَ يا جَدِّي، لكنْ نشـترطُ أن تُشاركنا أنت أيضاً في هذا السِّباق.

ضحكَ الجدُّ كثيراً، وقال لهم ممازحاً:

- هل تتوقَّعون أنَّني أستطيع أن أسـابقكم وأنا في هذا العُمُر؟! كان من الممكنِ أن أفعلَ ذلك لكن قبل خمسين سنةً منَ الآن.

ضحك الصِّغار على هذه الدُّعابة، وبعد دقائق كانوا قد وصلوا إلى قِمَّة جبل الرُّماة، ووصل الجدُّ بعدهم، وشـعر الجميعُ بهيبة المـكان، فبالقربِ من هنـا، وقفَ جيشُ الإيمـان والنُّور، يصدُّ جيشَ الكُفر والضَّلال، قبل أكثر من ألفٍ وأربعِمئةِ سنة.



صورة تظهر جبل الرماة الذي شهد أحداث معركة أحد



أكملَ الجدُّ سردَ معلوماته حول سير الأحداث في ذلك اليوم، فقال:

- بعد ذلك بدأتِ المعركة، وقد قاد جيشَ كفَّار قريش زعيمُ مكة أبو سـفيان، وكان خالدُ في رأس ميمنة الجيش، وعكرمة في ميسرته، وكان النَّصرُ في أوَّل الأمر من نصيب المسلمين، فقد قتلوا حامل لواء المشـركين واسـمه طلحة العبدري، فانتشر الرُّعبُ وحلَّ الذُّعْرُ[١] بين صفوف المشركين، وكادوا يُغادرون أماكنهم ويهربون.
- أبو سفيان وخالد وعكرمة؟ أتقصد أنَّهم لم يكونوا قد أسلموا بعدُ يا جدِّي؟.
- اسـتنتاجُك صحيحٌ يا عمَّار، نعم فقـد كان هؤلاء في جيش الكُفر يومَ أُحُـد، إلَّا أنَّهم عرفوا الحقَّ بعد ذلك، وشـرح اللهُ صدرَهم للإسلام، فأسلموا جميعهم، وحَسُنَ إسلامُهم رضي الله عنهم.
- ومَن الصَّحابيُّ الَّذي قَتَل حاملَ لواء المشركين يا جدِّي؟.
- إنَّـه **الزُّبيرُ بـن العـوَّام** رضي الله عنه، وهو كمـا تعلمونَ مـن أبطالِ المُسلمين، وأحدُ العَشَرةِ المُبَشَّرين بالجنَّة. وعندما بدأ القتال دعا طلحةُ العبدريُّ المسـلمينَ إلى المبارزة بالسَّيف، وكانت هذه عادة العرب عند بداية معاركهـم، وكان طلحةُ قويّاً يهابه الجميعُ، فتقـدَّم نحوه الزُّبيـر رضي الله عنه بثباتِ المؤمن، وسـرعان

---

(١) **الذعر**: الخوف الشديد.



ما قضى علــى خصمه، فأثنى عليه رســولُ الله ﷺ، وقال عنه حينها: (**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريّاً، وإنَّ حواريَّ الزُّبير**)[١]. والحواريُّ يا أحبابي هــو النَّاصر والمؤيِّد، وبذلك عُـرف هذا الصحابيُّ الجليل بهذا اللَّقب العظيم، وكان له الفضلُ في سـقوطِ رايةِ المُشركين الَّتي داسَتْها أقدامُ المسلمين في ذلك اليوم.

أخذ الأحفادُ يتابعونَ بشـغفٍ كلامَ جدِّهم، الَّذي تابع سـيرَ أحداثِ يومِ أُحُد:

- واستمرَّ القتالُ يا أحبابي بين الطَّرفين، وبدا من الواضح تفوُّق جيشِ المسلمين وتخاذُل جيش المشركين، وأوشكتِ الحربُ على الانتهاء، وفـرَّ كثير من كفـار قريش، تاركيـن وراءهم أسلحتَهم وأمتعتَهم.

وعندما رأى الرُّماةُ ما نزل بجيشِ المشركين من الهزيمة، نزل معظمُهم من الجبلِ فرحينَ بنصر الله، وأخذوا بجمع الغنائم[٢] التي تركها كُفَّار قريش وراءهـم، وبقي قائد الرُّماة **عبدُ الله بنُ جُبير** وبعض رجاله في قمَّة الجبل، تنفيذاً لأمر رسولِ الله ﷺ.

في هذه الأثناء، لاحظَ خالدُ بنُ الوليـد، ما حدث في جيش المسلمين، فاستغلَّ الموقفَ، وهاجم الرُّماةَ من الخلف بعد أن التفَّ حولهم، فقتل مَن بقي منهم، وجاءتْ إحدى نساء قُريش

---

(١) رواه البخاري.

(٢) **الغنائم**: جمع غنيمة، وهي ما يكسبه المقاتل في الحرب.



فرفعتْ رايــةَ الجيش من جديد، فأســرع المُشــركون والتفُّوا حولها، وعاد مَن كان قد هرب منهم، وتغيَّر مجرى الأحداثِ سريعاً، وبدأ جيشُ المسلمين يضعف شــيئاً فشيئاً، ولا سيما لمَّا ســمعوا أنَّ رســولَ الله ﷺ قد قُتل، فرجع جــزءٌ كبيرٌ من المسلمين نحو المدينة، وبقي الرَّسولُ عليه الصلاة والسلام مع بعض أصحابه صامدين حتَّى نِهاية المعركةِ.

سكت الجَدُّ قليلاً، ثمَّ تابعَ كلامَه:

- وعندما علِم الصَّحابةُ لاحقــاً بِكَذِب مَن زعم أنَّ نبيَّهم عليه الصلاة والسلام قد قُتل، عاد لهم نشــاطُهم من جديد، فعادُوا إلى أرض المعركة، وعاد القتالُ من جديد، إلى أن حــلَّ اللَّيلُ، فتوقَّف القتالُ بين الطَّرفين، بعد أن أُصيب الجيشان بالإرهاقِ والتَّعَب الشَّديدَين، ودار حوارٌ بين المُســلمين وجيشِ قريش بزعامة أبي سفيان، واتَّفق الطَّرفان فيه على تجدُّد اللِّقاء بينهما العامَ القادمَ في بدر.
- هــل تعني يا جــدِّي أنَّ المعركة لــم تنتهِ لصالــح أحَدٍ من الجيشَين؟.
- أحسنتَ يا عماد، هذا استنتاج موفَّق. يمكننا أن نقول: إنَّ معركة أُحُــد مرَّتْ بثــلاث مراحــل، كان فــي أوَّلها انتصــارٌ واضحٌ للمســلمين، وفي ثانيها انتصرتْ قريش لمَّا خالــفَ الرماةُ أمر رسولِ الله ﷺ، وغادروا أماكنهم لجمع الغنائم. وانتهتِ المعركة في المرحلة الأخيرة، دون تحقيقِ نصرٍ حاســمٍ لأحَد الفريقين على الآخر، واتَّفقا على تجدُّد القتال فيما بينهما لاحقاً.

أخذتْ علامــات الاهتمام تزداد وضوحاً فــي وجوه الصِّغار، فتابع الجَدُّ كلامه:

- وقد حفظتْ لنا كتبُ التَّاريخ يا أعزَّائي، الكثيرَ من البطولاتِ والتَّضْحياتِ التي قدَّمها رسولُ الله ﷺ وصحابته في يوم أُحُد، ممَّا دلَّ على صلابة الإيمان في قُلوبهم، فأيُّ شيءٍ أعظمُ من تقديمِ الأرواح في ســبيل الله؟! لا ســيما وقد أيقنــوا بأنَّ الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفُســهم وأموالَهم، ووعَدَهم بأنَّ لهم الجنةَ مقابلَ ذلك.
- حدِّثنا عن شــيء من تلك البطولات التي أظهرها المسلمون في ذلك اليوم يا جدِّي.
- حســناً يا عامر. بعد نهاية المعركة أخذ رسولُ الله ﷺ يتفقَّد أصحابَــه ويبحث عنهم، فلاحــظ غيابَ عمِّــه **حمزة** رضي الله عنه، فبحث عنــه الصَّحابة فوجــدوه تحت شــجرة وقد فاضت روحه، فعلم بذلك الرســولُ الكريمُ فبكاه كثيراً، وتذكَّر ما كان لحمزة من مواقف عظيمة في الإسلام، وقال عنه: **(سيد الشــهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة)**. وأمر الرَّســول الكريم بتكفين حمزة الشَّهيد، فلم يجدوا سوى ثوب قصير، فغطوا رأسَه به ووضعوا على رجله الإذخر وهو نباتٌ طيِّبُ الرَّائحة. وقد دلَّ هذا على زُهدِ الصَّحابة وابتعادِهم عن نعيم الدُّنيا، وحرصهم علــى طلب الآخرة، وما وعدهم الله به من نعيمها الدَّائم والمُقيم.



- وكيف نال سيدُنا حمزةُ الشَّهادةَ يا جَدِّي؟.
- كان لسيِّدِ قُريش جُبير بن مطعم، **عبدٌ حبشيٌّ اسمه وحشي**، وقد قَتَل المسلمون يوم غزوة بدر، عمَّ جُبير واسمه طعيمة بن عدي، فقال جُبير لوحشيٍّ: إنْ قتلتَ حمزة عمَّ محمد فأنت حرٌّ عتيق، وكان وحشي هذا ينشد الحرية منذ زمنٍ طويلٍ، وكان بارعاً في استخدام الحَرْبة، فأخذ يبحث عن حمزة يوم أحد، فوجده وهو يتجوَّل في أرض المعركة بشجاعة وبسالة، فوجَّه نحوه حَرْبَتَهُ فقتلَه، ونال بذلك حمزةُ ﵁ الشَّهادة في سبيل الله.
- وماذا حلَّ بوحشيٍّ بعد ذلك يا جدِّي؟.
- بعد سنوات من ذلك اليوم، قَدِم رسولُ الله عليه الصلاة والسلام مع أصحابه لفتح مكَّة، وهرب وحشيٌّ إلى الطَّائف خوفاً من المسلمين، فمكث هناك يُتابع الأخبار عن بُعد، فنصحه النَّاس أن يأتي إلى رسول الله، فجاءه مؤمناً وشرح الله صدرَه للإسلام، ودخل في دين الله، وانضمَّ ﵁ إلى جيش الإسلام، وقتل بحربته تلك قائد المرتدِّين مُسيلمة الكذاب، وقال يومها كلمته الشَّهيرة: (قتلتُ حمزةَ خير النَّاس بعد رسول الله ﷺ، وقتلتُ شرَّ النَّاس مُسيلمةَ الكذَّاب).
- حديثُكَ شَيِّق يا جدِّي، حدِّثنا عن المزيد من قصص البطولات تلك.
- حسناً يا عمَّار. ومن الصَّحابة الذين ثبتوا أيضاً يوم أُحُد يا أبنائي **أبو دُجانة** ﵁، ويقول الرُّواة: إنَّه أخذَ يقي



رســولَ الله ﷺ ويحميه بظهره، حتَّى امتــلأتْ ظهره بالجروح والإصابات نتيجة ما وصلها من ضربات السِّهام والسُّيوف.

وممَّن قاتل من الصَّحابة بشجاعة أيضاً: **قتادةُ بن النُّعمان** رضي الله عنه، وكان يُدافع بجسمه عن رسولِ الله ﷺ، إلى أن أصابه سهمٌ في عينه فســقطتْ على خدِّه، فلمَّا رآها الرَّســولُ الكريمُ دمعتْ عيناه، وقال: «**اللَّهــمَّ إنَّ قتادة قد وقى نبيَّــك بوجهه، فاجعل عينَه هذه أحسنَ عينيه وأحدَّهما نظراً**».. فردَّها الرسولُ الكريمُ بيده إلى مكانها، فغدت أفضلَ من عينه الأخرى السَّليمة.

سكت الجَدُّ قليلاً ثمَّ مضى يحدِّث أبناءه:

- وقصصُ البطولاتِ في ذلــك اليوم كثيرةٌ، فهاهــو مثلاً فارس الإســلامِ **ســعدُ بنُ أبي وقَّاص** رضي الله عنه يرمي ألفَ سهم في ذلك اليوم، وهاهو **طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه يقاتل في سبيل الله، فتُقطع إصبعه فيمضي ولا يكترث لها، وقد عــدَّ الصَّحابة جِراحَه فإذا هي أكثرُ من ســبعينَ إصابــةً، ما بين طعنة رمح ورمية ســهم وضربة سيف، وقد سُرَّ منه رسولُ الله ﷺ فقال عنه: (**من سرَّه أن ينظر إلى شهيدٍ يمشي على الأرض فلينظرْ إلى طلحة**)[1].

سكت الجَدُّ قليلاً ثم تابع:

- وهاهو يا أبنائي **عبدالرحمن بن عوف** رضي الله عنه، وقد جُرح يوم أُحُد أكثر من عشــرين جُرحاً، وأصيب في رجلــه بِجُرح بليغ كان

---

(١) رواه الترمذي.

يعرج منه بعد المعركة. أما **مصعب بن عمير** رضي الله عنه حامل لواء المسلمين، فقد قَتل كثيراً من المشركين، وثبت يومها، حتى تكاثر حوله المشركون، فقتلوه لينال ما تمنَّاه من الشَّهادة في سبيل الله، وعندما انتهت المعركة، وقف الرَّسولُ الكريم أمامه، فبدا على وجهه الكريم ألمُ الفِراق وهو يودِّع صاحبَه العزيز.

وأخذ **أنس بن النضر** رضي الله عنه يُدافع عن رسوله الكريم، ويقاتل المُشركين حتَّى نال الشَّهادة، ولمَّا انتهت المعركة كان من الصَّعب التعرُّف عليه، لكثرة ما أصابه من الجُروح والطَّعنات.

ومن شُهداء أحد أيضاً: **عمرو بن الجموح** رضي الله عنه، وهو صحابيٌّ كبيرُ السِّنِّ، منعه أولادُه من الخروج للقتال، لكبر سِنِّه ولعرجه الشَّديد، فشكاهم إلى رسولِ الله عليه الصلاة والسلام، فأمرهم بالسَّماح له بالمشاركة في القتال، فتهلَّل وجهُ الشَّيخ وقال: (والله إنِّي لأرجو أن أطأ الجنَّة بعرجتي هذه، اللَّهمَّ لا تردَّني إلى بيتي، اللَّهمَّ ارزقني الشَّهادة)، وقد أبرَّ اللهُ قَسَمَه، فنال رضي الله عنه الشَّهادة وقال عليه الصلاة والسلام يومها: **(كأنِّي أنظرُ إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنَّة)**[1].

- وهل كان لنساء الصَّحابة دورٌ في تلك المعركة يا جدِّي؟.
- بالطَّبع يا عمَّار، فقد آزر النِّساءُ الجيشَ المسلم، وكتب لنا التَّاريخ يا أبنائي الكثيرَ من مشاركاتهن المُشَرِّفة في ميادين القتال، ومن ذلك دورُهُنَّ في سقاية القوم، وخدمتهم، ومداواة

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي.

جِراحهم، وصنع الطَّعام لهم، ونذكر ممَّن شارك يوم أُحُد من الصَّحابيات الفاضلات: **عائشـــة، وصفيَّة، وأمُّ سُـليم، وليلى الغفارية**، رضي الله عنهنَّ جميعاً.

- وماذا عن الصِّبيان يا جدِّي؟ ألم يكن لهم دورٌ في ذلك اليوم؟.

- بلى يا عماد، لقــد كان لبعضهم حضورٌ قــويٌّ، حفظتْه كتبُ التَّاريخ التي قصَّتْ لنا بطولاتِ هؤلاء الصِّغار، ومن ذلك: أنَّ صحابية أعطتِ ابنها الصَّغير سيفاً، وقدَّمته إلى رسولِ الله ﷺ قائلة: «يا رسول الله هذا ابني يُقاتل عنك».

كما ألحَّ **رافعُ بن خديج وســمرةُ بن جندب** رضي الله عنهما في المشاركة مع جيش الإســلام، وكان عمرُهما آنذاك قريباً من أعماركم، فلم يبلغا سنَّ الخامســة عشرة بعدُ، فردَّهما عليه الصلاة والسلام لصغر سنِّهما، فلمَّـا علم أنَّ رافعاً جيِّد الرِّماية ســمح له بالمُشــاركة، فجاء ســمرة يقول: «يا رســول الله، إنِّي والله أصرعُ رافعاً» أي: إنني أشدُّ منه قوة، فتبسَّم ﷺ من موقف سمرةَ الَّذي أظهرَ به حرصَه على الجهاد، فسمح له هو أيضاً بمشاركة الجيش.

- هل تذكر لنا يا جدِّي بعضاً من إصابات جيش المســلمين في ذلك اليوم؟.

- حســناً يا عامر. في ذلك اليوم ثبت الرسولُ عليه الصلاة والسلام يوم أن اشتدَّ القتال، وبقي حوله عددٌ يســيرٌ من أصحابــه، وأدَّى ذلك إلى إحاطتهم من قِبَل جيش قريش.



وكانـــت النتيجةُ المتوقَّعــة في ظروف عصيبــة كتلك، هي إلحاق الضَّرر بالجيش المحاصَر، وهــذا ما حدث بالفعل، فقد ذكرتِ الرِّوايات أنَّ الرَّســولَ الكريــمَ تأثَّرتْ أجزاءٌ من جســده بالحجــارة، ووقع على جانبــه، وأصيبتْ أســنانُه، وشُجَّ(١) في وجهه.

- يا لها من إصاباتٍ بليغةٍ يا جَدِّي.

- نعم يا عامر، وقد جُرحتْ أيضاً شــفتُهُ ﷺ، وأخذ الدَّمُ يسيلُ على وجهه الشَّريف فيمســحه، وجاءتِ ابنتُه **فاطمةُ وعليٌّ** رضي الله عنهما يسكبان الماءَ ليغســلا عنه الدَّم، فزاد نزيف الجرح، فأخذتْ فاطمة قطعةَ حصيرٍ فأحرقتهــا حتَّى صارت رماداً، ثمَّ ألصقتْها على الجــرح، وكانت هذه عــادةً قديمةً عنــد العرب لإيقاف نزيف الجروح، وقد دخل في خدِّ الرَّسول الكريم أيضاً حلقتان من حلقات المِغْفَر.

- ما معنى المِغْفر يا جدِّي؟.

- إنَّــه الدِّرعُ يا عزيــزي عمَّار، يلبســه المقاتلُ على رأســه لحمايته مِــنَ الإصابة أثنــاء القتال. وقد جــاء الصَّحابيُّ الجليــلُ **أبو عبيدة بن الجراح** رضي الله عنه فعــضَّ بقوة على تلك الحلقتيــن حتَّى نزعهما بأســنانه، وأدَّى ذلــك إلى وقوع بعض أسنانه رضي الله عنه.

---

(١) **شُجّ**: جُرح.



تابع الجدُّ حديثَه:

ـ وقد قدَّم جيشُ المسلمين يوم أُحُد **سبعين شهيداً** من خِيرة الصَّحابة، كان منهم كما أخبرتكم، **حمزةُ** عمُّ الرَّسول ﷺ، الذي لُقِّب بأسدِ الله ورسوله، **ومصعبُ بن عُمير** حامل لواء الإسلام في تلك المعركة، **وعبدُالله بن جحشٍ**، **وسعدُ بن الرَّبيع**، رضي الله عنهم جميعاً، وقد قاتلوا بِبَسالة[1] حتَّى نالوا ما تمنَّوه من الشَّهادة على أرض المعركة، وقد بقي رسولُ الله ﷺ وفيّاً لأصحابه شهداء أُحُد، فقد كان يزورهم باستمرار، ويدعو لهم ويصلِّي عليهم.

والآن يا أحبابي، ما أعظمُ درسٍ خرج به المسلمونَ من هذه المعركة؟ أجِبْ يا عامر.

ـ نعم يا جدِّي، لقد خالف المسلمون أمرَ رسولهم ﷺ، لمَّا تركوا أماكنهم، ونزلوا من فوق جبل الرُّماة نحو ساحة المعركة لجَمْع الغنائم. وقد أدركوا لاحقاً، أنَّ مخالفة توجيهات القائد كانتْ سبباً في تغيُّر سير الأمور لصالح قُريش بعد أن كانت لصالح المسلمين، ممَّا ألحق بهم الكثيرَ من الخسائر البشرية والمادِّية.

ـ أحسنت يا عامر، إذن علينا يا أبنائي، أن نُصغي إلى تعليمات الرِّسالة، وعلينا أن نتذكَّر دائماً أنَّ من أطاع الرَّسول فقد أطاع

(١) **البسالة**: الشَّجاعة والإقدام.



الله، وأنَّ توجيهات النَّبيِّ ﷺ لا تنبع عن الهوى، بل هي وحيٌ من الله يُوحى، ولذلك وجب أن نلتزمها ونتقيَّد بها.

وممَّا أودُّ أن أضيفه أيضاً يا أحبابي، أنَّ التنظيمَ العسكريَّ الدَّقيق الذي أمر به رسولُ الله ﷺ جيشَه قبل بدء المعركة، يدلُّ على براعة عسكريَّة عُرف بها الرَّسولُ الكريمُ، وهذا يدلُّ على تأييده بنصرِ الله وحفظه له، وعلى درايته بالكثير من فنون القتال.

واستمرَّ الحوارُ هادفاً ومُفيداً، وأخذ الجدُّ يُجيب عمَّا يخطر ببال أصدقائنا الصِّغار من تساؤلاتٍ واستفساراتٍ، وهم يُغادرون موقع المعركة.

- والآن انظروا إلى هذا المسجد الجميل الذي يقع على يمينكم. إنَّه مسجد المُستراح.

- وهل هو من معالم المدينة أيضاً يا جَدِّي؟.

- نعم يا عماد. يقع مسجد المستراح في الجهة الشمالية الغربية للمسجد النبويِّ الشَّريف، على بعد (٢٥٠٠) متر منه تقريباً، وقد سُمِّي بالمستراح لأنَّ النبيَّ ﷺ جلس فيه يستريح أثناء رجوعه من غزوة أُحد، وهو مسجد قديم بُني في عهد النبيِّ ﷺ، وصلَّى فيه كما تذكر الرِّوايات، وقد تمَّ تجديدُه وتوسعته كما ترون أمامكم في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله.





صورة حديثة لمسجد المستراح

وبعد هذا اليــوم الحافل المليء بالنَّشــاط والمُفْعَمِ بالحيوية، عاد صغارُنا إلى منزل الجدِّ.

لقد زاد رصيدُهم الآن مــن المعلومات الثَّمينــة حول معالم المدينة المنوَّرة، وخرجوا بأعظم الفوائد من الدُّروس الَّتي أملاها عليهم جدُّهم، وهــو يحدِّثهم عن تاريخ تلــك المعالم بدءاً من تأسيسها ووصولاً إلى هذه اللَّحظة، وسرعان ما اتَّجه الصِّغار إلى أسِرَّتِهم بعد أن تناولوا طعامهم وأدَّوا صلاة العشاء، وأخلدوا إلى النَّوم العميق، اســتعداداً لاكتشاف المزيد من المحطَّات الجديدة من معالم المدينة المنوَّرة.





إلى مسجدِ القِبْلتين

فــي صبيحة اليــوم التالي، اســتيقظ أصدقاؤنا عامــر وعماد وعمار، وسرعان ما استعدُّوا للخروج من المنزل برفقة جدِّهم.

كانتْ خِطَّتُهــم لهذا اليوم هي زيــارة مســجد القِبلتين، كما وعدهم الجدُّ في مساء الأمس.

وبدأتْ أصــوات الصِّغار تعلو بالنِّقاش داخل ســيارة جدِّهم، وأخذ حوارٌ مفيدٌ يدور بينهم، وهم يتحدَّثون عن هذا المســجد الأثريِّ الهام، الذي ما يزال قائماً وشــامخاً، منذ أيام الرَّسول ﷺ حتَّى الآن.

بدأ الجدُّ في ســرد(١) ما يخصُّ جامع القبلتين من المعلومات الهامَّة:

- قبل أن نبدأ في الحديث عن مســجد القبلتيــن، أذكِّركم بما علِمناه من أنَّ رسولَ الله ﷺ وصحابته الكرام، لمَّا قدموا نحو المدينة، كانــوا يصلُّون في قباء والحرم النبــويِّ، باتجاه بيت المقدس في فلســطين، وبقيتِ القِبلة على هــذه الحال، قرابةَ

(١) سرد: عرض وتقديم.



سبعة عشر شهراً، إلى أن نزل الوحي بأمر الله تعالى، بتحويل القِبلة نحو مكة المكرَّمة.

ولمسجد القبلتين يا أحبابي، مكانة رفيعة في التَّاريخ الإسلاميِّ وفي نفوس المسلمين، فقد تمَّ فيه تحقيقُ الأمرِ الإلٰهيِّ وتنفيذه، بدرس عمليٍّ مباشر، وأعني به تحوُّلَ قبلة المسلمين نحو الكعبة المُشَرَّفة، واستمرار ذلك بالصَّلاة إليها إلى أن تقوم السَّاعة.

والآن اقرأ علينا يا عامر من كتابك ما يخصُّ مسجد القِبلتين.

- حاضر يا جَدِّي. يقع مسجدُ القِبلتين، في الشَّمالِ الغربيِّ للمدينة المنوَّرة، وبالتحديد في مدخل المدينة، للقادمين من جهة تبوك والمنطقة الشَّمالية، وقد كان هذا الحيُّ يُعرفُ في عهدِ النبيِّ ﷺ، باسم حَرَّة بني سَلمة، وهم القومُ الَّذين سكنوا في تلك النَّاحية.

سأل عماد:

- ما معنى الحَرَّة يا جدِّي؟.
- إنَّها المنطقةُ المرتفعةُ ذات الحجارة السَّوداء، الَّتي امتاز بها ذلك الحيُّ، وهي جزء من حَرَّةٍ كبيرةٍ، تُعرف إلى أيامنا هذه بالحَرَّة الغربيَّة.

تابع عامر قراءته:

- أمَّا موضوع تحويل القبلة، فقد ورد في السُّنَّة المطهَّرة العديدُ من الأحاديث التي تروي قصَّتَها، منها: أنَّ النبيَّ ﷺ، كان



يُعَزِّي[1] امرأةً من بني سَـــلمة مات ابنُها، وكانت تلك السَّيِّدة تُعرف بأمِّ بشر. وأدركتْ رسولَ الله ﷺ وأصحابه صلاةَ الظُّهر، وهم في منزل تلك السَّيِّدة، وبعد قيامهم لأداء الرَّكعة الثَّالثة، نزلَ الوحيُ الأميـــنُ بتحويلِ القبلةِ نحو الكعبة المُشَـــرَّفةِ في بيتِ الله الحرام، فاستدار عليه الصلاة والسلام نحو الجنوب، واستدارَ أصحابُه حتَّى صاروا خَلْفَه.

- إذن فقـــد صلَّوا نصف تلـــك الصَّلاة نحو بيـــت المقدس في الشَّـــمال، ونصفها الآخر نحو مكـــة في الجنـــوب، هل هذا صحيح يا جدِّي؟.

- نعم صحيح، اســـتنتاجك موفَّق يا عمـــاد، دعوني أكمل لكم هذه القصَّة الجميلة. بعد ذلك طلب بنو سَـلمة من السَّيِّدة أم بشـــر أن تبيعهم بيتها، ليتَّخذوا منه مســـجداً، فرفضتْ بيعه، وقدَّمتْه بنفسٍ ســـخيةٍ هديَّةً للمســـلمين جزاها الله خيراً، فتمَّ بعدها بناءُ المســـجد مكان دارها، وكان يُعرف حينها باســـم مســـجد بني سَلمة، وتمَّ تغييرُ اســـمه فيما بعدُ، ليُعرف باسم جامع القِبلتين.

والآن، مـــن منكم يا أبنائي يحفظ الآيـــةَ الكريمةَ، الَّتي نزلتْ بشأن تحويلِ القِبلة؟.

---

(١) **التعزية**: زيارة أهل الميت.



- إنّها قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].
- صدق الله العظيم، أحسنتَ يا عامر.
- ومتَى كانت أحداثُ قصةِ تحويلِ القِبلة هذه يا جدِّي؟.
- حدث ذلك في شهر رجب من السَّنَة الثَّانية للهجرة، وقيل: في شهر شعبان.

بعد قليل كانت سيارةُ الجدِّ تقفُ في المواقف الحديثة المخصَّصة لوقوف السَّيَّارات، قُرب مسجد القِبلتين، وسارعَ الأطفالُ إلى دخول المسجد.

قال عماد بصوتٍ خافتٍ:

- لم أكن أتوقَّع أن يكون المسجدُ بهذه المساحة الكبيرة يا جدِّي.
- لقدِ اهتمَّ المسلمونَ ببناء جامع القبلتين عبر التَّاريخ، كما اهتمُّوا بغيره من جوامع المدينة، وقد شهد المسجدُ العديدَ من التَّوْسِعات، على يد الدُّول الإسلامية التي تعاقبتْ على حكم البلاد، وهاهي الآن أمامنا آخرُ تلك التَّوْسِعات وأعظمها في تاريخ المسجد، وقد تمّتْ في عهد الدولة السعودية. أعتقد أنَّ في كتابك يا عامر بعض الحديث حول هذا الموضوع، فاقرأ علينا منه.



صورة حديثة لمسجد القبلتين

- نعم يا جدِّي. يتألَّف مسـجدُ القِبلتين من دورَين كبيرين على أربع جهاتٍ، وتطلُّ واجهتُه الرئيسةُ على الشَّارع، بطول ثلاثةٍ وثمانين متراً، ويبلغ طولُ واجهتِه الجنوبيةِ خمسـةً وتسـعين متراً، وطول الواجهـة الغربية اثنان وثمانون متراً، ويتوسَّـطه قاعةُ صـلاةٍ كبيرةٌ، تفوق مسـاحتُها ألفَ متر مربَّع، وتتَّسـع بسـهولةٍ لألفَي مُصَلٍّ في وقتٍ واحدٍ، وفي المسـجد شُـرفةٌ مرتفعةٌ كبيرةٌ، وقد تمَّ تخصيصها لمصلَّى النِّساء.



- أحسنتَ يا عامرُ، دورُك الآن يا عمادُ، تابِعْ واقْرأ.

- ويُلاحِظُ زائرُ المسجد نظامَ بنائه المُمَيَّز وهندسته البديعة، الَّتي تستخدم القناطر القائمة على الدَّعائم. وممَّا اشتهر به مسجدُ القبلتين وجود الثُّرَيَّات النُّحَاسيَّة ذات الطَّابع الأثريِّ القديم، وقد أعطتِ المسجدَ رونقاً جماليّاً خاصّاً، بالإضافة إلى ما يَظهر على المحراب والسُّقوف والجُدران، من نقوشٍ وزخارفَ إسلاميةٍ أصيلةٍ تمَّ نقشُها بالخطِّ الكوفيِّ، على يدِ أمهرِ الخَطَّاطين والرَّسَّامين المَغاربة، وتظهر في المصلَّى فَتَحَاتٌ منقوشةٌ، تمَّ تصميمُها لوضع المصاحف فيها.

- هذا يكفي يا عماد، جاء دوري في القراءة، أليس كذلك يا جدِّي؟.

ضحك الجميع على تدخُّل عمَّار الَّذي أصرَّ على متابعة القراءة:

- وتغطِّي المسجدَ شبكةٌ حديثةٌ من نظام تكييف الهواء المركزي، تخفِّف عن المصلِّين حرارةَ الجوِّ في أشهر الصَّيف، ممَّا يُساعدهم على أداء الصَّلاة بخشوعٍ وهدوءٍ، وقد دخل في بنائه أيضاً كميَّات ضخمةٌ من الأخشاب الَّتي استُخدِمَتْ في صناعة الأبواب والشَّبابيك على الطِّراز الإسلاميِّ المميَّز، وقد تمَّ إنجازُ أعمال الرُّخام والبلاط باستخدام أحجار الجرانيت



المعروفة، وغطَّتْ أرضَ المسجد حُلَّةٌ من أفخم السجَّاد، الَّذي ميَّزه عن غيره من مساجد المدينة.

- أحسنتَ يا عمَّار. وفَّقكم الله يا أبنائي، والآن هيَّا بنا نصلِّي صلاةَ تحية المسجد.

وبعد أن أدَّى الصِّغارُ صلاةَ العصر مع الجماعة خلْف إمام مسجد القِبلتين، استقلُّوا سيَّارةَ جدِّهم، وتحلَّق الصِّغارُ حولَه، فاقترحَ عليهم مراجعةَ أهمِّ ما حصلوا عليه من المعلومات، الَّتي خرجوا بها من زيارة معالم المدينة حتَّى الآن.

- ما شاء الله، لقد أصبحتُمُ الآن تَعْلَمونَ الكثير حول تاريخ المدينة المنوَّرة.

- جزاك الله خيراً يا جدِّي، فجُهْدُك كان واضحاً وكبيراً وأنت تُشرف علينا أثناء زيارة تلك المعالم الهامَّة.

استمرَّ الحديثُ الهادفُ في سيارة الجدِّ، الَّتي انطلقتْ بأصدقائنا صوب مَعْلَمٍ جديد. قال الجَدُّ:

- نحن الآن في طريقنا إلى زيارة مَعْلَمٍ آخر من معالم المدينة، وهو مكانٌ شَهِدَ أحداثَ معركةٍ كبيرةٍ بين جيش الإسلام وجيش الكُفر، وظهرتْ فيه الكثيرُ من علامات غَدْرِ اليهود، الَّذين جاوروا المُسلمينَ في المدينة.

وصلَ الصِّغارُ مع جدِّهم إلى ساحةٍ واسعةٍ، ووقف الجميعُ



أمامَ مســجدٍ كبيرٍ، تظهرُ عليه علاماتُ البناء الحديثة، فقرأ عمَّار بصوتٍ عالٍ لافتةً قريبةً: مسجد الفتح.

- نعم يا أبنائي، على هــذه الأرض أمامكم وقعتْ أحداثُ **غزوةِ الخندق**، ويُسَــمِّي أهلُ المدينة هذه المنطقة بمنطقة **المساجد السَّبعة**، وهي من معالم المدينة الَّتي يزورُها القادمون إليها.

- لكن ما سِرُّ تسميتها **بالمساجد السَّبعة** يا جدِّي؟.

- لقد بُني في السَّــابق هنا يا عمَّارُ ســتةُ مســاجدَ صغيرةٍ، وقد أضافَ إليها بعضُهم مســجدَ **القِبلتين** الَّذي زُرنــاه قبل قليل لقُربــه منها، وبذلك أصبح مجموعُ المســاجد ســبعةً. وتلك المساجدُ هي: **مسجد الفتح، ومسجد سلمان الفارسيِّ، ومسجد أبي بكــر الصِّدِّيق، ومســجد عمر بــن الخطاب، ومســجد عليِّ بن أبي طالب، ومسجد فاطمة.**

وتمَّ حديثــاً إجراءُ بعض التَّعديلات في هــذه المنطقة، فتمَّتْ توســعةُ مســجدِ الفتح، وأُعيد بناؤُه وفقاً للمعايير الهندســيَّة الحديثة، وهانحن الآن نقف أمام هذا الصَّرح البديع.

تابع الجدُّ حديثَه:

- وتقول بعضُ الروايات: إنَّ مسجدَ الفتح كانَ المكان الَّذي صلَّى به رسولُ الله ﷺ أثناء غزوة الخندق. وقد بناه عمرُ بن عبد العزيز في فترة إمارته على المدينة، ثم جُدِّد فيما بعدُ، وأُعيد بناؤه في عهد السُّلطانِ العثمانيِّ عبدالمجيد الأول عام (١٢٦٨) للهجرة.





صورة لمسجد الفتح بعد التوسعة الأخيرة

ويقــع الخنــدقُ بالقُرب من مســجد الفتح هــذا، وقد حفره المســلمون في تلك الغزوة للدِّفاع عن المدينة، عندما زحفتْ إليها قُريش والقبائلُ المتحالفة معها.

- لقد ســبق لنا يا جدِّي، أن درسْــنَا بعضَ المعلومات في مادَّة التَّاريخ عن غزوةِ الخندقِ، وأذكُر أنَّ المدرِّسَ رســم لنا على السبُّورة مخطَّطاً يشرح سيرَ أحداث تلك المعركة.

- إذن دعونــا الآن نراجــع ما لديكــم من معلومات يــا عمَّار، ودعوني أُضِف عليها ما فاتكم منها. هيا يا عامر، افتح كتابك واقرأ علينا معلوماتِ هذه الغزوة.



- حاضر يا جَدِّي. وقعتْ أحداثُ غزوةِ الخندق التي تُسَمَّى أيضاً بغزوة الأحزاب، في شهر شـوَّال من السَّنَة الخامسة للهجرة، وسببُها أنَّ بعضَ اليهود قدموا إلى مكة، فشجَّعوا زعماء قُريش على غزوِ المدينة، لمحاربة الرَّسول ﷺ، ووعدُوهم بدعمهم ومساندتهم في تلك الحرب.

تابع عامر:

- ثمَّ خرج هؤلاء اليهود، فتوجَّهوا نحو بعـض القبائل العربية، مثل غطفـان وبني مُرَّة وبني فزارة، فدعوهـم أيضاً إلى قدوم المدينة، ومشـاركة أهل مكَّة فـي غزوها، وتواعَـدَ الجميع، وتآمروا على حرب الإسلام، واتَّفقوا على الزَّمان والمكان.

أخذ عمَّار الكتابَ من أخيه عامر، وتابع القراءة:

- ولمَّا سـمعَ رسـولُ الله ﷺ بما تآمر عليه جيشُ الكفرِ، جمع أصحابَهُ وشاورهم في الأمر، فأشـار عليه أحدُ أصحابه، وهو سلمانُ الفارسـيُّ رضي الله عنه بِحَفْرِ الخندق، وهو حفرةٌ طويلةٌ تُحيط بالمدينة وتحميها من هجوم الأعداء، فأُعْجِبَ الرسولُ الكريمُ بالفكرةِ، وهبَّ أهلُ المدينة لتنفيذها على بركة الله.

- هل يعني ذلك يا جدِّي أنَّ فكرةَ حفر الخندق كانت جديدةً؟.

- هذا صحيح يا عماد، فلم يكن العرب يعرفون هذا الأسـلوبَ القتاليَّ قبل ذلـك، وصاحبُ الفكرة كما قـرأ علينا عمَّار هو سلمانُ الفارسيُّ، وهو صحابيٌّ جليلٌ قدم إلى المدينة من بلاد



فارس البعيدة، باحثاً عن الحقيقة ونــور الإيمان، فوجد ذلك عند رســولِ الله ﷺ، فآمن به وحَسُــنَ إســلامُه. تابعْ قراءتك يا بني.

- خرجَ المســلمون من المدينــة بقيادة رســول الله عليه الصلاة والسلام، وكان عددُهم ثلاثةَ آلاف، فوصلوا إلى ســفح جبل ســلع، فجعلوه خلفهم، وبــدؤوا بحفر الخنــدق من النَّاحيــة الأمامية ليمنع الأعداء من الوصول إلــى المدينة، وظهرتْ بذلك براعةُ فكرةِ سلمانَ، فقد أمَّن الجبلُ ظهرَ الجيش، وأمَّن الخندقُ مقدمته.



سكتَ الجدُّ قليلاً، فسارع عماد فسأله:

- حدِّثْنا يا جدِّي عن حفر الصَّحابة لذلك الخندق.

- حاضر يا عماد، حاضر. لقد شمَّر الصَّحابة في تلك الأيام عن ساعد الجِدِّ، وأخذ الرَّسولُ ﷺ كعادته يُساعد أصحابه يداً بيد، وكثيراً ما كان التُّراب يغطِّي جلده الشَّريف كما يقول رواة السِّيرة، وقد كان الصَّحابة رضوان الله عليهم ينشدون أثناء حفرهم:

نحن الذين بايعوا محمَّدا   على الإسلامِ ما بَقِينا أبدا

وكان الرَّسولُ الكريمُ يردُّ عليهم بقوله:

اللَّهمَّ لا خيرَ إلَّا خيرُ الآخِرَة   فبارِكْ في الأنصارِ والمُهَاجِرَة

واستمرَّتْ عمليةُ حفر الخَنْدَق، وظهرتْ فيها الكثيرُ من قصص صبر الصَّحابة على شَظَف العيش. ومن القصص التي يذكرها الرُّواةُ أنَّ الصَّحابة لبثوا ثلاثة أيام من غير أن يذوقوا طعاماً، وشُوهد وقتها رسولُنا ﷺ، وهو يضع حجراً يشدُّه على بطنه.

- لكن ما علاقةُ الحجر بالجوع يا جدِّي؟.

- كان من عادة العرب قديماً يا عامر، وضعُ حجرة أسفلَ البطن، وشدّها عليه بحبلٍ أو ما شابه ذلك، وهذا يؤدِّي إلى الضَّغط على المعدة وتصغير حجمها، ممَّا يُعطي شعوراً بالشِّبع، وهذا يخفِّفُ من ألمِ الجُوع وشِدَّته.



- وماذا حدث بعد ذلك يا جدِّي؟ أرجوك تابع.

- جاء صحابيٌّ جليلٌ اسمه جابر، فأحزنه ما وجدَ من مُعاناة الرَّسول ﷺ من الجُوع، فذهب إلى امرأته، وسألها أن تعدَّ طعاماً يدعو الرَّسولَ إلى تناوله، وكان لدى امرأةِ جابرٍ ماعزٌ صغيرة وبعض الشَّعير، فذبحَ جابرٌ تلك الماعزَ، وطحنتْ هي الشَّعير، وأعدَّتْ منه طعاماً، وذهب جابرٌ ودعا الرسولَ الكريمَ، إلى تناول الطَّعام في منزله.

سكت الجدُّ قليلاً، وهو يرى أحفاده يتابعون بشوقٍ قصةَ جابرٍ، ثم تابع:

- وفُوجئ جابرٌ برسول الله، وهو يُنادي على جميع أهل الخندق من الصَّحابة، ويقول: **(يا أهلَ الخندق، إنّ جابراً قد صنع طعاماً فهلمّوا بنا إلى بيته)**، وسار الجميعُ باتجاه بيتِ جابرٍ، وهناك فُوجئتْ الزَّوجةُ بذلك العددِ الكبيرِ من الضُّيوف، وأيقنتْ أنَّ ما صنعتْه من الطَّعام لن يكفي، وشعرتْ بالحرج الشَّديد.

- يا له من موقفٍ مُحْرِجٍ يا جَدِّي!.

- صحيح يا عماد، إلا أنَّ تلك المرأةَ المؤمنةَ سلَّمتْ أمرَها إلى الله، وأخذتْ تنتظرُ وصولَ ضيفها الكريم. ووصل ركبُ الصَّحابة، فأمرهم الرَّسولُ عليه الصلاة والسلام بالدُّخول، فأخذ يكسر الخبز بيده الشَّريفة، ويضعُ عليه اللَّحم، ويوزِّع الأكلَ بين أصحابه.



- لكن هل تكفي كميةُ اللَّحْمِ والخُبز القليلة تلك، لإطعامِ جيش المُسلمين الكبير يا جَدِّي؟.

- نعم. لقد كفاهم الطَّعامُ يا عمـــار بفضل بركة دعاء النبيِّ ﷺ، فقد أكل الجميعُ حتَّى شـبعوا، بل وبقـــي الطَّعام على حاله، وكأنَّه لم يأكلْ منه أحدٌ، وأمر ﷺ امرأةَ جابر، أن توزِّع ما بقي من طعام على من لم يحضر من المسلمين، وقال لها: **(اهدي منه، فإنّ الناس أصابتهم مجاعة)**.

- يا لها من قصَّةٍ رائعةٍ يا جَدِّي!.

تابع الجَدُّ حديثَه:

- ومن قصص البركة الأخرى الَّتي تذكرها بعضُ الكتب يا أحبابي، أنَّ صحابيةً أعطتِ ابنتها قليلاً مـــن التَّمر، وأمرتها بإيصاله إلى أبيها، فرأى رســولُ الله ﷺ تلك الفتاةَ، فأخذ منها ما تحمله من تمرٍ، فوضعه في ثوبٍ، وأمــر أن يُنادي المنــادي: «هلمُّوا إلى الغداء»، فاجتمعَ جميعُ أهــلِ الخندق، وأخذوا يأكلون من ذلك التَّمر، الَّذي كفاهم جميعاً ببركة دعاء الرَّسول الكريم.

وهكذا اســتمرَّتْ يا أبنائي أعمالُ حَفْرِ الخندق، ورسولُ الله وأصحابه في عملٍ دائمٍ مســتمرٍّ، إلى أن انتهى العملُ أخيراً بعد جهودٍ كبيرةٍ، وأخذوا ينتظرون قدومَ جيش الكُفْر. وعندما وصل المشــركون من مكَّــة، وقد فاق عددُهم عشــرةَ آلافِ مقاتلٍ، فُوجئــوا أمامَهم بحفــرة الخندقِ الكبيرةِ، وشــعروا



بعجزهم عن دخولِ المدينـةِ، ومواجهةِ أهلها من المهاجرين والأنصار، فعسـكروا في النَّاحية المقابلة للخندق، وحاولوا كثيـراً الوصول إلـى خُصومهم فـي الناحية الأخـرى، فلم يتمكَّنوا من ذلك.

- وكيف انتهت أحداثُ المعركة إذن يا جَدِّي؟.

- كان رسـولنا ﷺ لا يفتر ولا يتوقَّف لسـانُه عن دعاء الله ﷻ، وكان كثيراً ما يضرع إلى الله بقوله: **(اللَّهمَّ مُنْزِلَ الكتابِ، سريعَ الحسـابِ، اهزمِ الأحزابَ، اللَّهـمَّ اهزمْهُـم وزَلْزِلْهم)**[1]، حتَّى استجاب اللهُ دعاءَه، وكشف ما بالمسلمين من كربٍ وضيقٍ.

- وكيف كان ذاك يا جَدِّي؟.

- لقد جاء نصرُ الله المبينُ، بعد أسابيع من وصولِ جيشِ الكُفْرِ نحو المدينة، إذ سـلَّط اللهُ تعالى بقدرته عليهم، ريحاً شديدةً مُخيفةً في ليلـةٍ ذاتِ ظلامٍ دامسٍ وبردٍ شـديدٍ، فأثارتْ تلك الريحُ خوفَ جيشِ قُريش وقلقهم، وقلعـتْ خيامَهم، وقلبتْ قدورَ طعامهم، فعمَّتِ الفوضى بين صفوفهم.

بعد ذلك دعا زعيم مكة أبو سـفيان قومَه إلى الرَّحيل هرباً من تلك الأجـواء، وقام إلى جمله فركبـه واتَّجه نحو مكة، وفي صباح اليـوم التَّالي غـادر المشـركون أرضَ المدينة، ورجعوا مخذولين إلى مكة، وقد أخزاهم الله، وعادوا دونَ أن

(١) رواه البخاري.



يُحرزوا أيَّ تقدُّم أو نَصْرٍ.

- وهل كان هناك قتلى في صُفوف المشركينَ يا جدِّي؟.

- لقد استمرَّ التراشُقُ بالنِّبال بين جيش المُسلمين وجيش الكفار، واستمرَّ الحال على هذا الوضع قرابة شهر، قُتل خلالها عشرةُ مشركين، أما المسلمون فقد نال ستةٌ منهم الشَّهادة، التي طالما انتظروها في سبيل الله.

والآن يا أحبابي، ما الَّذي يمكن لنا أن نستنتجه من الدُّروس من غزوة الخندق؟ ابدأ أنت يا عامر.

- حسناً يا جدِّي، في البداية نلاحظ أنَّ يهودَ المدينة هم أساسُ المشكلة، فقد غدروا وكادوا لرسول الله ﷺ، وشجَّعوا كفارَ قُريش على غزو المدينة، وتجاهلوا بذلك ما اتَّفقوا عليه مع رسولِ الله ﷺ من المُعاهدات، عندما قدم المدينة مهاجراً من مكة.

- بارك الله فيك يا بني، وأزيدَ على كلامك بأنَّ هذا هو دأبُ اليهود على مَرِّ التاريخ، فهم دائماً ينقضون عهدَهم ولا يَصدُقون في أقوالهم وأفعالهم، وكثيراً ما غدروا بأنبياء الله وقاتلوهم وقتلوهم، وعُرفوا بذلك عبر التَّاريخ بأنانيَّتهم والسَّعي لتحقيق مصالحهم الشَّخصية، ونحن نرى بأمِّ أعيننا ما يُعاني منه أهلُنا في فلسطين المحتلَّة اليوم، من ظُلم اليهود الغاصبين، واعتداءاتهم المستمرَّة على حُرُمات المسلمين هناك.

- هل أُكملُ يا جدِّي؟.



- بالطَّبع، هاتِ ما عندَك يا عماد.

- ما لاحظْتُه من هذه القصَّة يا جدِّي، هو اهتمامُ رسولِ الله ﷺ بمشاورة أصحابه، وأَخْذ رأيهم في تسييرِ أمورِهم، فقد رأينا أنَّه أخذَ برأي سلمان رضي الله عنه الَّذي اقترح عليه حَفْرَ الخندق.

- أحسنتَ يا عماد، ملاحظتك هذه ممتازةٌ، فالرَّسولُ الكريمُ بذلك ينفّذُ قولَ الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والحكمةُ يا أبنائي ضالَّةُ المؤمن، يأخذُها أينما وجدَها، وعلى المسلم أن يحكِّم تفكيرَه لصالح أمره، ويطوِّرَ أساليبَ حياته للوصول إلى أفضل ما يَرجوه من النتائج.

- هل نسيتَني يا جَدِّي؟ أليس ليَ الحقُّ أنا أيضاً في التعليق على أحداث هذه المعركة؟.

ضحك الجميع وهم يشاهدون عمّاراً وهو يعترض، فقال له الجَدُّ:

- لا يا عمَّار، أنا لم أنْسَك، ونحنُ في انتظار ما لديك من استنتاجات، وكلامك يهمُّنا، تفضَّل وحدِّثْنا عن ذلك.

- لقد لاحظتُ يا جدِّي أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُشارك بنفسه بأعمال حفرِ الخندق، وهذا يذكِّرني بمشاركته في أعمال بناء المسجد النبويِّ، ومسجد قباء، ومشاركته في القتال يوم أحد.



- ممتاز يا عمَّار، هذه ملاحظةٌ قيمةٌ جدّاً، فرسولُنا الكريم هنا يضرب لنا مثلاً آخر، في تواضُعه ومشاركته لأصحابه في شُؤون دينهم ودنياهم، وفي ذلك عِبرة بالغة، تظهر فيها مساواةُ الإسلامِ بين أفراد المجتمع، وعدمُ التفريق بين كبيرهم وصغيرهم، وبين غنيِّهم وفقيرهم، فالقائد يقفُ مع جنوده في نفس الصَّفِّ، ويجوع معهم، ويشدُّ الحجرَ على بطنه حتَّى يُخَفِّف من ذلك الجوع.

والآن هيا بنا يا أحبابي، نختم حديثنا بتلاوة سورة الأحزابِ التي حدَّثتنا عن الكثير من جوانب أحداثِ تلك المعركة، هيا ياعامر فابدأ أنت بتلاوةٍ مباركةٍ.

* * *





زيارةُ مسجدِ المِيقَات

- سنتجَّه اليوم بإذن الله لزيارةِ مسجدِ المِيقَات.

بهذه الكلمات خاطب الجدُّ أحفادَه الثَّلاثَةَ صباح اليوم التَّالي بعد أن حيَّاهم، وأخبرهم بخطَّة اليوم الجديد.

- علينا يا أبنائــي أن نتحرَّك بســرعة، فالمــكانُ بعيدٌ بعض الشَّيء.

- هل تقصد يا جدِّي أنَّ مسجدَ الميقات يقعُ خارج المدينة؟.

- نعم يا عمَّار، هذا صحيح، فلنتجِّه إذن نحو سيَّارتنا.

وفي السَّيَّارة، بدأ الجدُّ كعادته كلَّ يوم، يحدِّث أصدقاءَنا حولَ وجهتهم الجديدة.

- هدفُنا اليوم يا أحبابي هو زيارة مسجدِ الميقات، الَّذي يُسَمِّيه البعضُ مســجدَ أبيار علــي، كما تُطلق عليه بعــضُ المراجع التَّاريخية أيضاً اسمَ مسجد ذي الحُليفة، أو مسجد الشَّجرة، أو مسجد الإحرام.

- لكن لماذا كلُّ هذه الأسماء يا جَدِّي؟.



- لكلٍّ اسمٍ منها معناه الخاصُّ يا عماد، فكلمةُ (الميقات) تعني المكان الَّذي يُحْرِم منه أهلُ المدينة من الحُجَّاج والمُعتمرين، أما (ذو الحُليفــة) و (أبيار علي) فهما اســمان قديمان لتلك المنطقــة الَّتي بُني على أرضِها هذا المســجدُ، وقد كان هناك شجرةٌ كبيرةٌ نزل تحتها رســولُ الله ﷺ، فبُني المسجدُ عندها، فأعطتْه اسم مسجد الشَّجرة.
- وهل كان الرسولُ عليه الصلاة والسلام يُحْرِم بالعمرة من هذا المسجد يا جَدِّي؟.
- نعم يا عمــاد، فقد جاء في الحديــث الصَّحيح: إنَّ النبيَّ ﷺ كان يركع بذي الحُليفة ركعتين، ثم إذا استوتْ به النَّاقة قائمةً عند مسجدِ ذي الحليفة أهَلَّ بقوله: (**لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شــريك لــك لبَّيــكَ، إنَّ الحمــدَ والنِّعمة لــك والملك، لا شريكَ لك**)[1].
- وقــد أصبحتْ عبــارةُ الرَّســول الكريمِ تلــك، سُــنَّةً يؤدِّيها المسلمون عند أداء العُمرة والحجِّ.
- أحسنتَ يا عامر، هذا صحيح.

واستمرَّتْ مناقشةُ الصِّغار، وهم يستمعون إلى حديث جدِّهم، وبعد قليل، وصلتِ السَّيَّارة إلى مســجدِ الميقات، وسارع الجدُّ إلى إيقافها في موقف السَّــيَّارات إلى جانب المســجدِ، وبعدها أخذ أصدقاؤنا طريقَهم نحو المسجدِ الحديثِ.

---

(١) رواه مسلم.



- يا له من مسجدٍ كبيرٍ يا جدِّي.
- صحيح يا عماد، فالاهتمام به واضح، ولا يقلُّ عن سابقيه من مساجد المدينة الَّتي زرناها حتَّى الآن. اقرأ علينا يا عامر بعضَ المعلومات البيانيَّة حول مسجد الميقات.
- يقعُ مســجد الميقات على الجانب الغربي من وادي العقيق، ويبعدُ عن المسجدِ النبويِّ قرابة أربعة عشر كيلومتراً، وقد بُني في عهد عمر بن عبد العزيز عندمــا ولي إمارة المدينة، وجُدِّد بعدها في العصر العبَّاسيِّ، ثم في العصر العثمانيِّ، وكان بناؤه حينها صغيراً جــدّاً، ولم يكن الحُجَّــاجُ والمعتمرون يجدون راحتهم فيه، فأمر الملك فيصل بــن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتجديده وتوسعته.
- أكْمِلْ أنت يا عماد.
- ومع زيادة أعــداد الحُجَّاج والمُعتمرين، أمــر خادم الحرمين الشَّــريفين الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتوسعته من جديد، وتزويده بالمرافق اللَّازمة، وبذلك فقد بلغتْ مســاحةُ مسجدِ الميقات الحديث ســتة آلاف متــر مربَّع، ويتَّســع لأكثر من خمسة آلاف مُصَلٍّ، وله مدخلان رئيسان، وخمسة عشر مدخلاً جانبيّــاً، وقد غطَّى ســقفَه الكثيــرُ من القِبــاب، التي أعطتْ المسجد طابعه الخاص.
- أحسنتَ، أكمل يا عمَّار.

- وتُحيطُ بالمسجد مبانٍ مخصَّصَةٌ للإحرام، والوضوء، والخدمات المدنيَّة كالهلال الأحمر والشرطة والإسعاف والبريد والهاتف، الَّتي تقدِّم خدماتِها إلى ضيوف المدينة من الحُجَّاج والمُعتمرين. وتَخدم المسجدَ شبكةٌ حديثةٌ من الإنارة والتكييف وأعمال الكهرباء.
- وفَّقكم الله يا أبنائي، والآن هيَّا بنا ندخل مع جموع المصلِّين، فقد أقام المؤذِّن لصلاة الظُّهر.

مسجد الميقات



وقف الجدُّ وأحفادُه يؤدُّون الصَّلاة بخشوع وتدبُّر، ثمَّ خرجوا من المســجد بعد الانتهاء من الصَّلاة، وتوجَّهوا نحو المواقف، واستقلُّوا سيَّارة جدِّهم.

- والآن يا أحبابي، دعونا نتذكَّر معالِمَ المدينة التي قُمنا بزيارتها حتَّى الآن.

- نعم يــا جدِّي، لقد زُرنــا حتَّى الآن الحرمَ النبويَّ الشَّــريف، ومقبــرة البقيع، ومســجد الإجابة، ومســجد قُباء، ومســجد الجُمعة، وجبل أُحُد، ومســجد المُســتراح، ومسجد القِبلتين، ومكان غزوة الخندق، ومنطقة أبيار علي.

- هذا صحيح.

- وماذا عن جدول الغد يا جدّي؟.

- سنزور مطبعة المصحف بإذن الله يا عماد.

- هل تقصد مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف؟ لقد سمعتُ عنه كثيراً.

- هذا صحيح، وسنشاهد عن قرب سير العمل في هذه المطبعة الضَّخمة، وما يقدِّمه هذا المجمَّــعُ الكبيرُ، من خدمات جليلة إلى جميع المسلمين في أنحاء العالم المختلفة.

- لديَّ ســؤال يا جدِّي أفكِّر فيه منذ يومين، لقد زُرنا العديدَ من مساجدِ المدينة المنوَّرة، لكن سؤالي: هل هذه فقط هي المساجد التي بُنيتْ على عهد رسول الله ﷺ، أو أنَّ هناك مساجد أخرى؟.



ـ ســؤالٌ ذكيٌّ يا عمَّار. بالطبع فإنَّ هناك الكثير من المســاجد الأخرى الَّتــي بناها الصَّحابــة بعد هجرة الرَّســول ﷺ إلى المدينة، وسبب ذلك واضح، وهو التَّوسُّع التدريجيُّ لمجتمع المدينة الجديد، وزيادة سكَّانه المســتمرَّة، وهذا بالطبع يعني بناء أحياء سكنيَّة جديدة، تســتدعي وجود مساجد يؤدِّي فيها السُّكَّانُ الجُدُدُ فريضةَ الصَّلوات الخمس.

تابع الجدُّ كلامه، وهو يلاحظ علاماتِ الاهتمامِ الواضحة في وجوه أحفاده:

ـ إلَّا أنَّ المساجدَ الَّتي زُرناها معاً، هي أهم مساجد المدينة الَّتي ما تــزال قائمة حتَّى الآن، وأَزيد عليها مســجِدَين آخرين هما **مسجدُ الغمامة،** الذي يقع في الجهة الغربية الجنوبية للمسجد النبويِّ الشَّريف، باتجاه باب السَّلام، وهو آخر المواضع الَّتي صلَّى بها الرَّسول ﷺ صلاةَ العيد.

ـ وما سرُّ تسميته بمسجدِ الغَمامة يا جَدِّي؟.

ـ الغَمامــة يا عماد تعني السَّــحابة، ويُــروى أنَّ غَمَامةً حجبتِ الشَّــمس عن رســولِ الله ﷺ أثناء صلاته، فاتفق النَّاسُ حينها على تسمية المكان بهذا الاســم، وقد بُني المسجد في ولاية عمر بــن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ علــى المدينة، ثمَّ جُــدِّدَ بعدها عدةَ مرَّات، إلى أن وصل إلى مساحته الحالية.

أما المسجد الآخر، فيُعرف **بمسجد أبي بكر الصِّدِّيق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،



ويقع بالقرب من مسجد الغمامة، وقد ثبت أنَّ الرَّسول ﷺ صلَّى به العيد، ثمَّ صلَّى من بعده الصِّدِّيق رضي الله عنه، فنُسب المسجدُ إليه.

وقد بُني المسجدُ أيضاً في ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة المنوَّرة، وتمَّتْ توسعتُه بعدها عدَّة مرات، بأمرٍ من سلاطين الدولة وحكامها.

تابع الجَدُّ حديثَه:

- وهناك بعضُ المساجد الأخرى الصَّغيرة، الَّتي تَذكرُ كتبُ التَّاريخ أنَّها بُنيتْ في عهد الرَّسول ﷺ، إلا أنَّه لم يتمَّ الحفاظ على بنيانها في العهود السَّابقة، ممَّا أدَّى إلى تخرُّبها وتهدُّمها، فأصبحتْ تلك المساجدُ مجرَّدَ أسماءٍ كتبتْها ذاكرةُ التَّاريخ.

- اذكر لنا يا جَدِّي شيئاً عن ذلك.

- هناك العديد من هذه المساجد، أذكر منها على سبيل المثال: **مسجد بني مازن، ومسجد دار النَّابغة، ومسجد بني واقف، ومسجد بني وائل، ومسجد بني بياضة**، وغيرها. وقد جاء ذكرُها في بعض الأحاديث الصَّحيحة، فقد ورد أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى بها مع أصحابه رضي الله عنهم.

سأل عامر، وهو يتابع باهتمام حديث الجَدِّ:

- وماذا عن مساجد المدينة التي بُنيتْ بعد وفاة الرَّسول ﷺ؟.



- لقد اهتمَّ أمراءُ المسلمين وخلفاؤهم بعمارة المساجد في المدينة المنوَّرة، فبنَوا الكثيرَ منها، وما يزال بعضها قائماً حتَّى الآن، ومن ذلك أذكر لكم: **مسجد الفتح** الذي قُمنا بزيارته، وتعرَّفنا إلى أحداث غزوة الخندق الَّتي دارت بالقرب منه، وقد بناه عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومنها أيضاً: **مسجد الكاتبية** الذي أنشئ سنة (١٢٥٠) للهجرة، على يد أحد الأشراف، **ومسجد بهرام آغا العثمانيُّ**، **ومسجد العنبريَّة** الَّذي بناه السُّلطان العثمانيُّ عبد الحميد، بالقرب من محطة سكَّة الحديد الحجازيَّة، الَّتي كانت تربط بلادَ الشَّام بأراضي الحجاز، وغيرها من المساجد الأخرى.

* * *



١٠

زيارةُ مطبعةِ المصحفِ الشَّريف

استيقظ أصدقاؤنا في صباح اليوم التَّالي، وبعد قليل استعدُّوا للخروج لزيـارة آخر مَعْلَمٍ مـن معالمِ المدينـةِ المنوَّرة، وفق البرنامج الَّذي رسـمه لهم جَدُّهـم، وهو مجمَّـع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.

- إذن فهذا هو آخر يوم لنا في ربوع المدينة.
- صحيح يا عماد، ففي الغد إن شاء الله ستنتهي رحلتنا السَّريعة هذه، وعلينـا أن نعود إلى جُـدَّة، ففي الأسـبوع القادم كما تعلمون ستبدأ الدَّورة الثقافية في المركز الصَّيفي الذي تنظِّمه مدرستُنا، وعلينا أن نستعدَّ لذلك.

سارع الصِّغار فركبوا سيَّارة الجدِّ، واتَّجهوا نحو مجمَّع طباعة القرآن الكريم، الذي يقع في طريق تبوك، عند مدخل المدينة من النَّاحية الشَّمالية الغربية.

بدأ الجَدُّ في سرد ما لديه من المعلومات:

- وضع خادم الحرمين الشَّريفين الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، حجرَ الأسـاس لهذا المجمّع سـنة (١٤٠٣) للهجـرة، وتمَّ



افتتاحــه بعدهــا بســنتَين، وكان الهدفُ من تأسيســه إصدار مصحف دقيق ومضبــوط، وتقديمــه هديَّةً إلــى دول العالم الإســلاميِّ المختلفة، في صُورة تَليق بعظمــة القرآن الكريم وجلاله.

ويُعَدُّ مجمَّعُ خــادم الحرمين الشَّــريفين لطباعــة المصحف الشــريف، أحد المنشــآت المتميِّزة في المدينة المنوَّرة وفي العالم الإسلاميِّ، فهو مركز علميٌّ متخصِّص في خدمة كتاب الله، ويقدِّم للمســلمين في أنحاء العالم نســخ القرآن الكريم وتفسيره، مطبوعة باللُّغة العربية والكثير من اللُّغات الأخرى.



- وهـل لهذا المجمَّع نشـاطاتٌ أخـرى بالإضافة إلـى طباعة المصاحف يا جَدِّي؟.
- نعم يا عامر، فقد تمَّتْ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لُغات ولهجات مختلفة، وتمَّ أيضاً تسجيلُ تلاوة القرآن الكريم على الأشـرطة والأقراص بصـوت مشـاهير القُرَّاء فـي الحَرَمَين الشَّـريفين، بالإضافة إلى تقديم الكثير من البحوث المتعلِّقة بعلوم القرآن، وخدمة السُّـنَّة، والسِّـيرة النَّبويَّة، والدِّراسـات الإسلاميَّة.
- وهل يتمُّ توزيع هـذه الإصدارات بالمجَّان على المسـلمين حول العالم؟.
- نعم يا عماد، فهناك لجان متخصِّصة تُشرف على هذه العمليَّة، ويتمُّ إرسـال ملايين النُّسَخ سنويّاً إلى الدول الإسلامية، حتَّى يتسنَّى توزيعها بحسب الحاجة إليها، في المساجد ودور العلم الإسلامي المختلفة.

كما صـدرتْ تعليماتٌ تُفيـد بتقديم مصحـفٍ هديَّة لجميع حجَّاج بيـت الله الحـرام، أثنـاء مغادرتهم عبـر المطارات والحدود البريَّـة أو البحريَّة، في طريق العـودة إلى بلادهم، وبذلك نسـتطيع أن نقول: إنَّ هذا المصحـف قد وصل إلى مُعظم البيوت المسـلمة حول العالم، وقد تـمَّ توزيع ملايين النُّسَخ من إصدارات المجمَّع المختلفة حتَّى يومنا هذا.

- وكيف يهتمُّ هذا المجمَّع بخدمة علوم القرآن والسُّنَّة والسِّيرة؟.



- يتبعُ المجمَّع مركزٌ متخصِّصٌ بالدِّراسات القرآنيّة، يهتمُّ بجمع الكتب والمعلومات المتعلِّقة بالقرآن الكريم وعلومه، كما تمَّ أيضاً إنشاء مركزٍ خاصٍّ بخدمة السُّنَّة والسِّيرة النبويَّة، يعمل على جمع المخطوطات[1] والوثائق الهامَّة، ويتمُّ حفظها وإعداد البحوث العلميَّة الَّتي تخدمها، وترجمة ما تدعو الحاجةُ إليه منها.

وصل أصدقاؤنا إلى مدخل المجمَّع، وكان في استقبالهم عند البوَّابة الرئيسة الأستاذ صالح، وهو صديقٌ قديمٌ للجدِّ، ويعمل موظَّفاً في المجمَّع.

رحَّب الأستاذ صالح بالصِّغار، وسار الجميع نحو مكتبه داخل المجمَّع.

- أهلاً بكم أيُّها الأحباب. لقد حدَّثني جَدُّكم عنكم وعن تفوُّقكم الدراسيِّ كثيراً.
- شُكراً لك يا أستاذ صالح. أنا اسمي عامر، وهذان هما أخواي عمَّار وعماد.
- أهلاً وسهلاً بكم، وحيَّاكم الله. والآن هيَّا بنا في جولة سريعة نتعرَّف خلالها على هذا الصَّرحِ[2] العلميِّ الكبير.

سار الإخوةُ الثَّلاثةُ نحو مباني المجمَّع بالقرب من جدِّهم، وقد رافقهم دليلُهم الأستاذ صالح.

---

(١) **المخطوطة**: الكتاب الذي كتب باليد.

(٢) **الصرح**: البناء.



- تبلغُ مساحة المجمَّع الإجمالية أكثر من (٢٥٠) ألف مترٍ مربَّع، ويعدُّ وحــدةً عمرانيَّةً متكاملــة، وتضمُّ المباني مطبعــةً كبيرةً، ومسجداً، ومباني إداريةً، ومستودعاتٍ، ومكتباتٍ، ونادياً رياضيّاً.

تابع الأستاذ صالح شرحه:

- وينتج مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف، ملايين النُّسَخ من المصاحف ذات الألوان المتعدِّدة والأحجام المختلفة، وتَصل الطَّاقــة الإنتاجية لهــذا المجمَّع إلى أكثر من عشــرة ملايين نســخة من مختلف الإصدارات ســنويّاً، ويمكن تشغيله عند الحاجة، ليصل إنتاجه إلى ثلاثين مليون نسخة سنويّاً.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف



- هذه الأرقام الكبيرة تدلُّ على غزارة الإنتاج ووفرته يا أستاذ صالح.

- صحيح يا عمَّار، فعمليَّة الطِّباعة هذه مستمرَّة على مدار أربع وعشرين ساعة في اليوم واللَّيلة، ولا تتوقَّف أبداً طوال السَّنَة، ويُساعد على سير العمل توافُر الموظَّفين بأعداد كبيرة، إذ يعملُ أكثر من ألفٍ وثمانمئةِ شخصٍ بين عُلماء وأساتذة وفنيِّين وإداريِّين، وكلٌّ منهم يُساهم في إنجاح خطط الإنتاج تلك، من خلال تخصُّصه وعمله.

جانب من مطبعة المصحف الشريف كما تبدو من الداخل



بعد قليل وصل أصدقاؤُنا إلى صالة الطِّباعة الرئيسة، واقتربوا من آلاتها الحديثة، ولفتَ انتباهَهم ضخامتُها وسرعةُ أدائها.

- يعدُّ ما تشاهدونه أمامكم من الآلات والأدوات، من أحدث ما وصل إليه تطوُّر وسائل الطِّباعة في العالم، فقد تمَّ استيرادها من أشهر المصانع العالميّة المتخصِّصة في شؤون الطباعة.

أخذ أصدقاؤنا يتجوَّلون في أرجاء الصَّالة الفسيحة، وقاموا بتحيَّة بعض العاملين فيها، وسُرُّوا كثيراً وهم يشاهدون للمرَّة الأولى كيف يتمُّ إصدار المصحف وطباعته بهذه الصُّورة الفاخرة، وبعدها قدّم مشرف الصَّالة لكلٍّ واحد منهم مصحفاً فاخراً، وقبِل الإخوة الهدية بشكر وامتنان.

- وماذا عن اللُّغات التي تمَّتْ ترجمةُ معاني القرآن الكريم إليها يا أستاذ صالح؟.

- لقد تمَّ بالفعل إصدارُ هذه الترجمات إلى خمسين لغة من لُغات العالم المختلفة، فهناك ترجمات إلى اللُّغات الآسيوية وأخرى إلى الأوروبية والإفريقية.

- وهذا يعني أنَّ المجمَّع يخدم المسلمين حول العالم مهما كانت لغتهم، سواء عربيَّة أو غيرها.

- صحيح يا عمَّار، فقد رفعَ مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف، شعارَ تقديم الفائدة لجميع المسلمين بلغاتهم



المختلفة، فلا يقتصر تقديم هذه الخدمة على النَّاطقين باللُّغة العربية فحسب، وهذا أعطى المجمَّع المزيد من الشُّهرة والقبول في دول العالم الإسلاميِّ.

أنهى الصِّغار جولتهم المفيدة، وودَّعوا الأستاذ صالح وشكروه على ما قدَّمه إليهم من معلومات ثمينة.

وبعد قليل استقلَّ الإخوة سيَّارةَ الجَدِّ في طريقهم للعودة إلى المنزل، استعداداً للسَّفر في صباح الغد.

- ها نحن يا أحبابي نُنهي اليوم زيارةَ آخرِ معالم المدينة المنوَّرة الهامَّة، ولا شكَّ أنَّ مدينة عظيمة كهذه مليئة بالكثير من المعالم والآثار الأخرى، الَّتي لم نستطع زيارتها لضيق الوقت، وعلى كلِّ حال أرجو أن تتسنَّى لكم قريباً زيارة أخرى إلى هذه المدينة العظيمة، نطَّلع خلالها على معالمها الأخرى الَّتي حفظها لنا التَّاريخُ الإسلاميُّ، وأتمنَّى أن تكونوا قد سعدتُم واستفدتُم من زيارتكم هذه.

- نعم يا جدَّنا العزيز، في الحقيقة لقد كانت زيارتُنا هذه ممتعةً ومفيدةً، فقد تعرَّفنا فيها عن قُرب على مدينةٍ من أعظم مُدُن العالم، تزخر بالكثير من الرموز التاريخيَّة والآثار الإسلامية العظيمة، وقد كان ما قدَّمْتَه لنا من معلومات عبر زياراتنا الميدانية مفيداً للغاية، جزاك الله خيرَ الجزاء.

* * *





رحلةُ العَوْدةِ

فـي صباح اليـوم التَّالي، اتَّجـه الجميع نحو مطـار المدينة المنوَّرة الدَّولي.

كان الجَدُّ في وداع أحفاده الثَّلاثة، وقبل أن يتوجَّه الصِّغار نحو صالة المُغادرة، سارعوا إلى وداعه وتقبيل يده ورأسه.

- أمـدَّك الله بالصِّحة والعافية يـا جدِّي. لقد كانـت أياماً رائعة قضيناها بصحبتك في ربوع هذا البلد الطَّاهر.
- شكراً لك يا عامر. لقد سُرِرْتُ كثيـراً بصُحبتكم لي، وكانت هذه الزيارةُ فرصةً لي كذلك، لاستذكار ما لديَّ من المعلومات حول هذه المدينـة المباركة. على كلِّ حـال، لا بدَّ لكم من





زيارة أخرى، نتعرَّف خلالها على المزيد من حضارة هذا البلد العريقة، وتاريخه الإسلاميِّ المجيد.

وقطع الحوار إعلانُ موظَّف المطار:

(تُعلن الخطوط الجوية السُّعودية، عن قيام رحلتها المتَّجهة إلى مدينة جُدَّة، وعلى السَّادة المسافرين سرعة التوجُّه نحو بوَّابة المُغادرة الثانية).

- هيَّا يا أبنائي، أستودعكم الله الَّذي لا تضيع ودائعه، أراكم على خيرٍ بإذن الله.

سارع أصدقاؤُنا فودَّعوا الجَدَّ ثانية، واتَّجهوا نحو باب الخروج في طريقهم نحو الطائرة.

ومن وراء زجاج الصَّالة، أخذ الجَدُّ ينظر إلى أحفاده من بعيد، ويلوِّح لهم بيده مودِّعاً، وأخذ لسانُه يدعو لهم بالخير والتوفيق، إلى أن غابوا عن ناظره تماماً، فقال:

- وفَّقكم الله يا أبنائي، وقادكم إلى ما فيه الخيرُ والسَّدادُ، في أمان الله.

تمت بحمد الله



المؤلِّف في سطور

د. حذيفة بن أحمد الخراط

- من مواليد سورية، عام (١٩٧٤م).
- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، سنة (١٩٩٩م)، وعلى شهادة ماجستير الجراحة العامة والتجميل، سنة (٢٠٠٣م)، وعلى شهادة الاختصاص الدَّقيق في جراحة الحروق، سنة (٢٠٠٧م).
- نشر أكثر من ثمانين بحثاً، في مجالات مختلفة، تدور حول الأبحاث الطبية بلغة ميسَّرة، والقصة القصيرة، والكتابات الأدبية، في العديد من المطبوعات العربية والمجلات المحكّمة، مثل: مجلات: الفيصل والقافلة والمعرفة والإعجاز العلمي، ومجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوَّرة السُّعودية، ومجلَّات النور والعربي الكويتية، ومجلة حراء التُّركية، وغيرها.
- قدَّم العديد من الحلقات المسجَّلة، التي أذيعت في الإذاعة السُّعودية، بعنوان: جهود علماء الطِّبِّ المسلمين في تطوير علوم الجراحة.



- نشر العديد من المشـــاركات الأدبية في بعض مواقع الشَّبكة العالمية (الإنترنت)، مثل موقع الألوكة.
- يعمل حاليّاً طبيباً اختصاصيّاً فـــي جراحة التجميل والحروق، بمستشفى الملك فهد، في المدينة المنوَّرة.
- يمكن مراسلة الكاتب على البريد الإلكتروني drhothaifa@gmail.com

* * *



فهرس الموضوعات

• مقدِّمـة ٥

١ ـ يوم تَسَـلُّم الشَّهادات ٧

٢ ـ رحلة بالطَّائرة ١١

٣ ـ في منزل الجَدِّ ١٩

٤ ـ زيارةُ المسجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ ٢٩

٥ ـ إلى بَقِيع الغَرْقَد ٥٩

٦ ـ إلى مسجدِ قُباء ٧١

٧ ـ في رحابِ أُحُد ٨٥

٨ ـ إلى مسجدِ القِبْلتين ١٠٣

٩ ـ زيارةُ مسجدِ المِيقَات ١٢١

١٠ ـ زيارةُ مطبعةِ المصحفِ الشَّريف ١٢٩

١١ ـ رحلةُ العَوْدةِ ١٣٧

• **المؤلِّف في سطور** ١٣٩

***

د. حذيفة أحمد الخراط

رحلةٌ إلى أرض المُصطفى ﷺ



د. حذيفة أحمد الخراط
رحلةٌ إلى أرض المُصطفى ﷺ
دار القلم



تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزَّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

